

عَنْ نَمَاذِجِ

حَيْصَاتِ الفِتَنِ وَالرَّدَاحِ المُطْبِقَةِ

وَالشُّرُفِ الجُونِ

بقلم خادم السلف

أبي بكر العدني ابن علي المشهور

عفا الله عنه

إِظْهَارُ العِلْمِ المَكْنُونِ

عَنْ نَمَاذِجِ

حَيْصَاتِ الفِتَنِ وَالرَّدَاحِ المُطْبِقَةِ

وَالشُّرُفِ الجُونِ

إظهار العلم المكنون عن نماذج حيصات الفتن والرداح المطبقة والشرف الجون
تأليف: أبوبكر بن علي بن أبي بكر المشهور

الطبعة الأولى ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م
قياس القطع: ١٥ x ٢١
الرقم المعياري الدولي:
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية:

يمكن مراسلة المؤلف على موقعه الشخصي
alhabibabobakr.com



daralmueein
info@daralmueein.com
00962 796 118 792
www.daralmueein.com

تصميم الغلاف : أحمد عمر الكاف


بسم الله الرحمن الرحيم

المطلع القرآني

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٢ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٣﴾ [الأحزاب: ١-٣]

المطلع النبوي

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً ، يظهر النفاق ، وترفع الأمانة ، وتقبض الرحمة ، ويتهم الأمين ، ويؤتمن غير الأمين.. أناخ بكم الشُّرْف الجُون**» ، قالوا : وما الشُّرْف الجُون يا رسول الله؟ قال: «**فتنٌ كقطع الليلِ المُظلم**»[1].

والشُّرْف: بضم الشين المشددة وسكون الراء ثم فاء – جمع شارف، وهي الناقة المسنّة ، والجون: السوداء ، قال ابن الأثير: شبَّه الفتن في اتصالها وامتدادها بالنوق المسنَّة السود .[2]

(١) صحيح ابن حبان برقم (٦٧٠٦)

(٢) البداية والنهاية (٢/ ١١٤٣)

المطلع الأبوي

جاء في وصية الإمام علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلى ولده الحسن قوله: (أوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهلي بتقوى الله ربكم ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٢-١٠٣] فإني سمعت أبا القاسم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ يقول: «**إصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام، فإن المبيرة الحالقة فساد ذات البين ولا قوة إلا بالله، انظروا ذوي أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب**»

«تاريخ الطبري» (٣/ ١٥٨)

شاهد الحال

تبرز أهمية فقه التحولات ـ أو ما أطلق عليه فقه المتغيرات والعلم بعلامات الساعة ـ في كونه علماً مخصوصاً وحلاً لكافة الاشكالات الطارئة في مسيرة الزمان الأخيرة ، سواء في العقيدة ، أو أحكام الشريعة ، أو مراتب السلوك ، وهذه مواضع أركان الدين الثلاثة ، أو فيما يتعلق بشأن المستجدات وعلوم الحياة وشؤون الحكم والسياسة وما اختلف عليهفي شأنها قديماً وحديثاً وخاصة في مسائل الولاء والبراء وشرف الانتماء ... وبهذا العلم نعرف بيقين أن كافة الإثارات والانفعالات الجارية على ألسنة وتصرفات جملة من المتحدثين باسم الدين ـ أو باسم الأفكار المعارضة للإسلام ـ إنما هي جزء (من علم الساعة) .

وتُنَزَّلُ على واحد من ثلاثة أمور :

١ – إما أن يكون (فتنة مرحلة متسلسلة) من عصور جذور الفتن المضلة في تاريخنا الإسلامي ، ويعاد موضوعها إلى عصر الفتنة وملابساتها التاريخية .

٢ – أن تكون جزءاً من حقيقة الديانة . وإنما شابها لون من الإفراط والتفريط ، ويجب تصحيح الخطأ وإعادة الأمر إلى أصله .

٣– أن تكون جزءاً من برنامج مسيس يهدف إلى إيجاد أوضاع أو اختلاف بين أهل الدين الواحد ، وتدخل هذه المسألة فيما أخبر عنه

ﷺ من العلامات في آخر الزمان .

وهذه النماذج الثلاثة تكاد أن تستوفي قراءة الأسباب المؤدية إلى صراع الأمة الأسلامية قديما وحديثا ، ولأجل ذلك لابد من تقسيم مراحل الدراسة النصية إلى أقسام .

الباعث

حضرتُ في إحدى المنتديات الثقافية ، وكان في المجلس جملة من المثقفين والدارسين ومنهم من درس في الدول الأوروبية ، وكان على غاية الإعجاب بكل شيء في أوروبا وأمريكا .. مع احتقار مشين للإسلام في صورته المعاصرة .. وسوء تعليل للأسباب والعلل..

وطال نقاش جدلي بين الأطراف ..ولم يبلغ حدا يُفيد منه السامع شيئا يعتمد عليه ..

ولما تحدثتُ عن فقه التحولات انقسم المجموع إلى فريقين :

فريق امتعض من الموضوع ، ورأى أنه ميدان لا يُحسن فيه الجَوَلان لمخالفته المألوف ، وفريق احتار وسكت واكتفى بالاستماع .

فرأيت أن من الواجب إحياء لغة هذا العلم المسكوت عنه ولو للاستفادة العامة وصرف أهل الجدل عن جدلهم ليخلدوا :

إما إلى الامتعاض , وهو طبع نفسي .

أو إلى الحيرة وحسن الاستماع ، وهي أول أسباب الإقناع لما يحمله الطرف المتكلم ..

وهذا الكتاب كان أحد أطراف هذا المشروع . وبالله التوفيق ...

الإهداء

إلى الذين اعتقدوا توقف الإسلام عن مشاريع التجديد ، وأن على المتدينين الانطواء في مشروع التسييس الجديد .

إلى عباقرة الفكر المعاصر المبهوتين بعالم الغرب ومنجزاته .

إلى حملة الأقلام المعتنين بالتاريخ الإنساني والإسلامي ..

هاكم ربطا جديدا وأكيدا من فقه الديانة . يضع لنا جميعا مشروع القراءة الثلاثية :

الأولى : قراءة أصلية من مرحلة الوحي والعصمة والأخلاق في مكة والمدينة .

الثانية : قراءة استباقية لمسيرة الحياة حتى قيام الساعة .

الثالثة : قراءة استقراءية من عصر البعثة حتى عصر التكوين الآدمي .

ولعل في هذا المشروع إحياء لما أمات الناس من ربط الديانة بالتاريخ وربط التاريخ بالديانة ...

والله المستعان والموفق ..

الباكورة

الحمد لله الآمر عباده بالقصاص ، فقال: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [البقرة:١٧٩][1] والصلاة والسلام على نبي الخلاص والإخلاص ، سيدنا محمد بن عبد الله الممنوح شرف الاختصاص، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

مسألة المصير مسألة هامة وخطيرة

(وبعدُ) فلا مناص من قضاء الله وقدر الله في شأن ما كتبه على العباد ، والمعلوم أن المصير المحتوم هو الفناء إذْ لا باقي إلا الله ، ولكنا في هذا الاستسلام الإيماني بالمصير فنحن على بصيرة من الأمر في شأن الكيفيات التي يجب أن نعيش عليها ونموت في سبيلها ومن أجلها ، حيث إن مسألة المصير مسألة هامة وخطيرة.. فهناك مخلوق شيطاني متربص بنا جميعاً يعمل جاهداً ومجتهداً كي يحشر البشرية في نار السعير حسداً ، وتشفّياً ، واستكباراً لا يفرِّق بين مسلم وكافر ، وإنما همه تسخير الطبع الإنساني لإفساد إسلام المسلم ، وتثبيت

---

(١) شاهد إيراد الآية الكريمة ما أوجبه الله من القصاص على القتل لأن في القصاص حياة ، والمؤلف يشير في هذا الاستدلال أن كشف الحقائق المنصوص عليها في السنة خير رد فعل شرعي على عقيدة الفعل المسيس المقصود لدى أعداء الأمة وحلفائهم للتمويه، والدجل والفساد والإفساد في قضايا قرار الحكم والعلم .

أساليب الكفر في الكافر.

وكتابنا (القرآن) العظيم خير شاهد على هذا الاجتهاد الشيطاني في العالم الإنساني ، ولكنه - أي القرآن - يحتاج منا إلى قراءة واعية متأنية لتتضح صورة التقرير الشرعي للمسألة ، ولنا أيضاً في المسألة شاهدٌ آخر ، وهو الحديث النبوي الشريف ، وخصوصاً ما يتعلق بشأن المخلوق الناري الطريد ومشاريعه الأنوية في البشرية الضعيفة، المشاريع القائمة على دراسة الطبيعة البشرية من كافة حيثياتها ، وانتهاز الفرص المتاحة لإيقاع الإنسان في المحظور ودفعه إلى الغضب والنفور والزج به عند الفرح أو الانفعال إلى ارتكاب الحماقات والضرر والشرور.

وطبيعة الإنسان وفطرته الجهل والنسيان وحب الامتلاك والخلود إلى الشهوات والجدل وطول الأمل ، وعدم الاعتراف بالخطأ ، والعزة بالإثم ، والاغترار بالذات والحرص والأنانية ، وغيرها من الآفات الكثيرة الكثيرة ، وعلاجها لا يتأتى إلا بالتزكية الشرعية والآداب المرعية ، ولكنها مرتبطة بشروط جمة وعديدة ، كان السلف الصالح على غاية الاعتناء بها في تربية أبنائهم وبناتهم ومريديهم. ولها قواعدها التربوية منذ نعومة الأظفار ، وتطبيقاتها العلمية والعملية آناء الليل وأطراف النهار ، يكتسب بها المتلقي نورانية الذكر ، وإشراقة الفكر ، ومراتب الشكر ، وقوة الإرادة ضد شهوات النفس ، وضراوة الطبع ، وخمول الجوارح ، ونزوات

العلاج لا يتأتى إلا بالتزكية الشرعية

الأعضاء حتى ينتصر بالملاحظة وطول المتابعة ، وحرارة المعاتبة ، على حظوظ النفس والشيطان والهوى وأثر الدنيا ، ويتحرر بالمداومة عن الرعونات ، والدنايا الطبْعيّة ، مترقياً ومتأدباً بالأخلاق الشرعية المكتسبة من المعرفة العلمية المقروءة ، والمصاحبة اليومية لرجال العلم والديانة والحكمة ممن إذا رؤوا ذُكِرَ الله .

ضعف عوامل التزكية في المراحل المتأخرة

وقد ضَعُفَتْ في عصورنا المتأخرة هذه العوامل الشرعية، واستبدل الناس بها وسائل مستجدة ، فرضتْها عليهم أسباب التحوُّل ، ومجريات الفتن وتداخلات الأعداء التاريخيين القابضين على زمام التأثير العلمي والفكري والاجتماعي ، كما قد أشار إلى ذلك سيد المِلَّة.. وهنا تكمن العلة ، ويتركز الإشكال الذي اشتغلنا به ، وتفرغنا لمتابعة عوامله وأسبابه ، من خلال فقه (علامات الساعة) ومتعلقاتها النصية ، ففيها بعد دراستها الشرعية حَلُّهُ وإيضاحه وفك عقدته المستعصية، لأنه علم شرعي من عند الله.

فقه التحولات وعدم قبول البعض لمواضيعه

وإشكالنا الكبير رفض الغالبية العظمى من طلبة العلم الشرعي والمثقفين أخذ الدراسة الشرعية لفقه التحولات ، بحجة سكوت السلف الصالح عن هذا العلم وعدم الخوض فيه ، مع أن الجميع يخوضون في لغو ولهو الأفلام ، وثمرات الأقلام ، وشر ما تأتي به الليالي والأيام ، وخصوصاً في عصر الإعلام والانهزام ، واختلاط الحلال بالحرام.

الخير كل الخير في العودة إلى النصوص

والخير كل الخير لنا جميعاً أن نرجع إلى نصوص الديانة ونتفقه في

مفاهيمها لأنها مرجعنا الوحيد ، ومخرجنا الأكيد ، من شر الفتن ، وأثر الاستتباع والوهن ، ما ظهر منها وما بطن.

ولعل من شرف الأمانة أن نشير إلى المكسب العظيم الذي اكتسبناه من الدراسة المستفيضة لفقه التحولات ، ومن إطالة النظر في أحاديث سيد البريات ، تحت نظر وتوجيه مشايخنا الأجلاء ، وقد وجدناه لنا خيراً من متابعة تقارير الإعلام ، ومناقشة فضول الكلام ، وبحوث الفشل والاستسلام ، وصراعات القال والقيل وتبرير الانهزام ، وعرفنا من خلاله خارطة الطريق الإلهية التي بلَّغها أمين الرسالة المأمون ﷺ لأمته ، مستفيدين أيضاً من خدمة العلماء الباحثين عن الحقيقة في هذا العلم المفيد ، وجمع الأئمة المحدثين الباذلين قصارى الجهد في البحث والتصحيح والترتيب لغوامض القريب منه والبعيد ، وهم قوم كثر جزاهم الله عن الإسلام خيراً..

تعريف بالكتاب وقاموسه

وها أنا ذا في اختياري لاسم الكتاب أربط القارئ بالنص النبوي ذاته ، مع علمي أن القاموس اللفظي لكلماته غريبة على الكثير من المثقفين وطلبة العلم غرابة فقه التحولات والعلم بعلامات الساعة كله..

والمعلوم بالضرورة أن ألفاظ النبوة لا تموت ، وإن ماتت ألفاظ اللغة العربية بالتقادم فالألفاظ النبوية نابعة من لسان مَن لا ينطق عن الهوى ﷺ، وهي ثروتنا الشرعية في حومة الهجمة الإعلامية العقلانية الوضعية ، ومنها نستمد الأمل في الوقوف على العلاج

والتزام الوقاية ، فلا علاج في تدخلات القوى الأجنبية ولا وقاية في استقبال الأفكار الغازية الشرقية والغربية ، ولا مخرج في تسييس العلم وتوظيفه للمصالح المرحلية ، والقرآن العظيم يؤكد استقلالية المنهجية الإسلامية بقوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ﴾[النور:٣٥]. ومن أجل هذا النور المبين أذكّر الأمة بشرف الدراسة النصية لـ «فقه التحولات» دراسة متأنية واعية التناول والتداول.. ففيها بإذن الله تعالى إجابة لعشرات الأسئلة وحل ناجح لأساس المشكلة.

والله من وراء القصد، وهو حسبي ونعم الوكيل..

المؤلف

التسلسل النَّصي لتاريخ الفتن والفتن المضلة

التحذير من الشر ووسائله وأسبابه من ضرورات البلاغ والإبلاغ النبوي

كان من ضرورات البلاغ والإبلاغ الذي حمل همه نبي الأمة ﷺ إيضاح الخير ووسائله وأسبابه ، والحث على العمل به ، والحرص على تحقيق أهدافه من جهة ، والتحذير من الشر ، وعدم الوقوع فيه أو الإعانة عليه من جهة أخرى ، وإلى هذا النموذج من العلم كان الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان يشير إلى ترافق الحالين في التلقي عن رسول الله ﷺ.. تلقّى علوم الشريعة فيما يخص الخير ومسائله ، وتلقى علوم الشريعة فيما يخص الشر وأسبابه ووسائل اجتنابه ، وخاصة فيما يرتبط بالسؤال.. وهو علم متميز.

فالرسول ﷺ قد بلَّغ الرسالة وأدى الأمانة دون الحاجة إلى أن يسأله الناس عنها ، اللهم أن الباب مفتوح لمن رغب السؤال لما لا يعلم ، ويجيبه ﷺ بما يناسب الموقف.

حذيفة بن اليمان امتاز بهذا العلم لامتيازه بالسؤال عنه

أما ما يشير إليه حذيفة بن اليمان في مسألة العلم المتميز فهو ما يفضيه ﷺ جواباً على السؤال في الخير بما يناسبه ، وجواباً على السؤال عن الشر بما يناسبه ، وفي ذلك يقول الصحابي حذيفة: «**كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة**

أن أقع فيه»[1].

هذا العلم قائم على السؤال والجواب والحوار والنقاش وليس على التلقي والتكليف

وكثير من فقه الفتن وعلامات الساعة قائم على فقه السؤال والجواب ، وهذا كما سبقت الإشارة إليه «علم متميز»، فحديث جبريل عليه السلام حديث حمل كافة صفة التميز من حيثيات كثيرة ـ ليس هذا مكانها ـ وإنما الذي نحن هنا بصدده أن فقه السؤال والجواب قد أبرز لنا على صفة التميز عِلماً هاماً في معرفة الإسلام والإيمان والإحسان ، وعلم الفتن وعلامات الساعة ، وهو ما عرَّفه حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالشر بما بينه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بقوله عن المستقبل: **«أن تلد الأمة ربتها – أو ربها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان»**[2] وفي رواية: **«ملوك العرب»**[3] وقد أطلق علماء الأصول

---

(١) صحيح البخاري برقم (٧٠٨٤) ومسلم برقم (١٨٤٧) بلفظ: «وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني» والمستدرك على الصحيحين للحاكم برقم (٨٣١١) ، وفي مسند أحمد برقم (٢٣٣٨٩) بلفظ: «وكنت أسأله عن الشر ، قيل : لم فعلت ذلك؟ قال: من اتقى الشر وقع في الخير».

(٢) رواه مسلم برقم (٨) ، وفي الرواية الأخرى في مسلم برقم (٩): «إذا ولدت الأمة ربها ، فذاك من أشراطها...إلخ» ، وفي مسلم برقم (١٠): «إذا رأيت المرأة تلدُ ربها فذاك من أشراطها ، وإذا رأيت الحفاة العراة الصّم البكم ملوك الأرض فذاك من أشراطها...إلخ» ، وفي صحيح البخاري باب أم الولد قال أبو هريرة: عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «من أشراط الساعة أن تلد الأمةُ ربها» برقم (٣/ ١٤٦).

(٣) وفي تعظيم قدر الصلاة لأبي عبد الله المزني (١/ ٣٧٣): (هم العرب). ا.هـ

على هذا الحديث مسمى (أم السنة) ، ولم يطلقوا هذا المسمى على غيره.. فماذا يعني؟

لابد من القراءة لفقه الفتن مرتبطاً بسائر علوم العقيدة والشريعة والسلوك لا كموضوع منبتر عنها

هذا يعني أن مسألة التناول للفتن والعلامات يجب أن تُقْرأ من مستوى ركنيتها ووحدتها الموضوعية ذات الارتباط المتناسق والمتناسب مع الثوابت الثلاثة إذ لا يسوغ التناول للفتن وعلامات الساعة وأشراطها كموضوع منفصل أو منبتر عن وحدته الموضوعية الواردة في سياق الحديث الواحد ، وإنما التناول الحق يقتضي النظر في التسلسل العلمي للعلامات والأمارات والأشراط والفتن والملاحم من حيث تَنَاوَلَهَا مَن لا ينطق عن الهوى ﷺ من حيث موقعها من الحوادث والمراحل لتصبح منهجاً مسانداً لعلوم العقيدة ، وعلوم الشريعة ، وعلوم مراتب السلوك ، وبالدراسة الواحدة لأركان الدين الأربعة تنسجم العلاقة بين المقصود الشرعي لوحدة الحديث الموضوعية في الثوابت كمنهج ، والمتغيرات كأوعية وذوات.

لأنه بلغها أصحابه مجتمعة ومترافقه مع علوم الشريعة

وقد بلغها رسول الله ﷺ مجتمعة في مرحلة الرسالة إلى أصحابه وأتباعه حتى علموا تفاصيلها أيضاً مجتمعة ومرافقة لبلاغ علوم العقيدة والشريعة ومراتب السلوك التي اعتنى بأصولها ﷺ في حياته ، وها هو في المدينة يضع اختباره عن الفتنة مع أصحابه يوماً كما ورد بسند حسن عن أبي سعيد الخدري أن أبا بكر جاء إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: إني مررت بوادي كذا وكذا ، فإذا رجل متخشع حسن الهيئة يصلي ، فقال النبي ﷺ: «**اذهب إليه فاقتله**» قال

: فذهب إليه أبو بكر فلما رآه على تلك الحال كره أن يقتله ، فرجع إلى رسول الله ﷺ قال: فقال النبي ﷺ لعمر: «**اذهب فاقتله**» فذهب عمر فرآه على تلك الحال التي رآه أبو بكر ، قال : فكره أن يقتله قال : فرجع فقال : يا رسول الله إني رأيته يصلي متخشعاً فكرهت أن أقتله ، قال: «**يا علي اذهب فاقتله**» قال : فذهب علي فلم يره ، فرجع علي ، فقال : يا رسول الله إنه لم يره ، قال فقال النبي ﷺ: «**إن هذا وأصحابه يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم في فُوقهِ فاقتلوهم هم شر البرية**».[1]

حديث : أول قرن يخرج في أمتي

وقد روي الحديث بروايات عدة، قال أبو عبيدة الحديث بمجموع طرقه صحيح ، وفي رواية: «**إن هذا أول قرن خرج من أمتي**»، قال رسول الله ﷺ: «**لو قتلته - أو قال: قتله - ما اختلف في أمتي اثنان**».[2]

في هذا النص بيان منشأ الفتن

قلت: هذا الحديث بمجموع روايته يشير إلى بداية الفتن وأسها ومنشأها ، وأنها كائنة لا محالة، وأنها - أي: الفتن- جزء من قدر الله في مراده المكتوب على الأمم بدأً من عهد آدم إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولا ، وأن بلاغ رسول الله ﷺ عن الفتن إنما كان

(١) مسند أحمد برقم (١١١١٨).

(٢) أخرجه أبو يعلى برقم (٤١٢٧) وغيره ورجاله رجال مسلم غير الرقاشي وهو ضعيف.

مكملاً لما سبق بلاغه على ألسنة الأنبياء من قبله ، وخصوصاً في المفاصل الكبرى التي تربط بين الفتن المتمرحلة جيلاً بعد آخر ، كفتنة الدجال التي قال فيها رسول الله ﷺ: «**ما من نبي إلا وأنذر قومه الدجال، نوح ومَن بعده، وإني أُنذركموه**»[1]، وقال ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : قام النبي ﷺ في الناس ، فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم ذكر الدجال فقال: «**إني أُنذركموه، وما من نبي إلا قد أنذره قومه ، لقد أنذره نوح قومه ، ولكن سأقول لكم فيه قولاً لم يقله لقومه ، تعلمون**

(١) وفي رواية: «إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال ، وإن الله لم يبعث نبياً إلا حذر أمته الدجال ، وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة» رواه بن ماجه برقم (٤٠٧٧) . وهذه الأحاديث تدل على أن تفسير رسول الله ﷺ للحوادث السياسية منطوٍ تحت مسمى (الفتن المضلة) بينما نجد كافة الدراسات العلمية والبحثية قائمة في عالمنا العربي والإسلامي على تفسير الحوادث السياسية مواقف إيجابية أم سلبيه عائدة لأسباب ذاتية أو موضوعية ناتجة عن عوامل نفسية قبلية أو انتمائية معينة ، وهذه إحدى مشاكل البحوث المعاصرة ، حيث إنها لم ترضخ هذه الدراسات لفقه المتغيرات ، وهو الفقه المسئول مسؤولية مباشرة عن التحولات السياسية وملابساتها ، ولعل هذا الأمر هو الفيصل الشرعي بين العقل الإسلامي المرتبط بالنصوص ، والعقل الإنساني المرتبط بالحوادث، وقد وقع العديد من الباحثين في عكس الأمر ، وهو إيراد النصوص لتبرير الحوادث ، ولم يربط الحوادث بضابط النصوص ، فجاءت التحليلات والتدليلات لمصلحة التجربة الإنسانية وتأليه العقل المجرد وللأسف.

أنه أعور ، وإن الله ليس بأعور»[1].

أول الفتن قتل هابيل

والإشارة تربطنا بمسألة المنشأ والبداية لمسيرة الفتن وتسلسلها وارتباطها ببعضها البعض» آخذة كل حلقة بأختها». فأول الفتن بلا خلاف مقتل هابيل على يد أخيه قابيل ، وما ترتب على هذا القتل من تداعيات وانحرافات عكست نفسها على حياة الشعوب ، وفي ذلك يقول ﷺ: «**وما صُنِعَتْ فتنةٌ منذُ كانت الدنيا صغيرةٌ ولا كبيرةٌ إلا تضعُ لفتنة الدجال**»[2].

والمعلوم أن «فتنة الدجال» فتنة عالمية الحدوث والتأثير والفساد والإفساد ، وموضوعها «سياسة الحكم والعلم» ، وما تفرع عنهما من مصالح الأمم والشعوب ، وبهذا تأتي في أول قائمة الخطورة والآثام ، وتحتاج إلى دراسة واعية وتتبع نصي واسع لآثارها في الحكم والعلم منذ عهود الأنبياء السابقين حتى عهد «سجن الدجال في جزيرة البحر» وهذه الدراسة إلى الآن لم تحظ باهتمام بَحثِيٍّ كاف ، إلا ما ورد من روايات لا ترتقي إلى مستوى التوثيق الجامع ، وقد أشرنا إليها في كتابنا التليد والطارف وتناولها المغرضون باللمز والهمز

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٠٥٧) ، وفي الترمذي برقم (٢٢٣٤): «إنه لم يكن نبي بعد نوح إلا قد أنذر الدجال قومه، وإني أنذركموه ...إلخ» ، ورواه أبو داود ، وأحمد ، وابن أبي شيبة ، والبزار ، وأبو يعلى ، وابن حبان ، والحاكم ، وغيرهم بروايات متقاربة.

(٢) مسند أحمد عن حذيفة برقم (٢٣٣٠٤)

والسخرية.. مع أننا أوردناها بصيغة التمريض لعلمنا بضعف روايتها ، وأوردناها للاستئناس ببعض المقابلات المشابهة لما أكدته الأحاديث الصحيحة ، وفيها تحديد لبدء ولادة المخلوق الأعور ،وبدء ممارسته الخارقة من عهد موسى عليه السلام ، وأن شخصية السامري هي شخصية الدجال مستدلاً بالآية: ﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ ﴾ [طه:٩٧]، وأن الموعد هو الظهور الأخير في عهد الأمة المحمدية.

الدجال يعمل في كل عصر بمهمة الإفساد حتى يأتي موعد ظهوره الذي لا يخلفه

وسواءً صح الاستنتاج أم لم يصح فالموضوع من أساسه لا يعتمد على توثيقه إلا ببينة علمية ، ولكن المفيد اشتغال الدجال في كل عصر منذ أن خلقه الله بمهمة الإفساد كما ورد: «**وما صنعت فتنة منذ كانت الدنيا صغيرة ولا كبيرة إلا لفتنة الدجال**»(١). وتبين من ذلك أن أول فتنة في أمة محمد ﷺ بظهور جملة من مدارس الجنوح السياسي، منها فتنة مدرسة الخوارج ، وهي المدرسة التي خرجت من ضئضئ ذلك الرجل الذي لو قتل على عهد النبي ﷺ لكان أول فتنة وآخرها ، ولكن الحكمة تقتضي ما أجراه الله من الأمر المحيّر عقول العباد ، وتقتضي بدء العد الزمني لتاريخ الفتنة السياسية ، وهي الفتنة المتعلقة بأمر الحكم والعلم في أغلب أوقاتها كما أشرنا سلفاً ، وتكاد أن تصبح الفتنة الخاصة بقراري الحكم والعلم أشد الفتن وطأة على الإسلام والمسلمين في كافة عصور الرسالة

(١) سبق تخريجه .

ومراحل الديانة ، وهي الفتن التي تَخَوَّفَ منها ﷺ واعتبرها أشد من فتنة الدجال ذاته ، حيث قال ﷺ: «**لأنا لفتنةُ بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجال ، ولن ينجو أحد مما قبلها إلا نجا منها**»[1].

وكأني بالحديث الشريف يربط بين موضوع الاختلاف السياسي والعلمي وبين موقع الدجال من الفتنة المستثمرة لصالحه، وعلامتها حمل السلاح، وإساحة الدم الحرام.. وقوامها العلمي سوء الاجتهاد وفساد القياس عند الاستنباط وإصدار الأحكام.. مما يؤدي إلى الاحتدام والاصطدام غير المشروع..

وأول ما ظهرت العلامة المشار إليها بالفتنة الدجالية في أمة المصطفى ﷺ كانت في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه ، أما ما سبق ذلك فتمهيد لها وباب يكسر ولا يفتح كما ورد في النص النبوي الشريف ، وفي هذا الفقه الخاص علاقة مرتبطة بين الفتن بعضها مع بعض كما يقيد ذلك أحاديث من لا ينطق عن الهوى ﷺ ، وخاصة الفتن المرتبطة بالقرار السياسي[2] كما سيأتي تفصيلها...

---

(١) مسند أحمد برقم (٢٣٣٠٤)

(٢) موقعة الجمل وصفين كان السبب فيها مقتل عثمان ، وفتنة الخوارج كانت سبب التحكيم في صفين وهكذا . مما يجعل الفتن كالخلية تنقسم وتتكاثر حاملة ذات الفيروس المدمِّر للولاء والانتماء .

مرحلة التأسيس والتقييم وأسلوب المعالجة

نماذج الفتن السياسية في الحكم والعلم إبان مرحلة الرسالة

كانت مرحلة الرسالة المحمدية منذ بعثته ﷺ إلى وفاته مصانة ومحصنة بالوحي والعصمة والمعجزات والأخلاق النبوية والحفظ الإلهي القائم، ولكنها لم تخل من ظواهر فتن ورؤوس افتتان تعمل على محاربة الدعوة الإسلامية جملةً وتفصيلاً.

رؤوس الفتنة سعت في التربص المستمر والعداوة للنبي ﷺ

حيث كانت هذه الرؤوس تخشى من امتداد الإسلام وتقويضه لقراري الحكم السائد والقرار الجاهلي المهيمن، وعملت هذه الرؤوس مجتمعة ومتفرقة خلال مرحلتي مكة والمدينة على ملاحقة أتباع الدعوة الإسلامية، والتربص المستمر بحامل رايتها ﷺ، ولعلنا في متابعتنا لحوادث السيرة النبوية منذ نزول الوحي على رسول الله ﷺ، وقول ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ: «**يا ليتني فيها جذعاً، أكون حياً حين يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أَوَ مُخْرِجِيَّ هم؟ فقال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي...الخ**».[1] نقف على أول محاور العداوة، وهو موضوع

ورقة بن نوفل بين أول محاول العداوة

---

(١) البخاري برقم (٦٩٨٢).

القراءة الذي نزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، حيث أمره بتغيير لغة القراءة من أساسها بقوله: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [العلق:١] وهذا مفصل خطير في التحول عن المألوف لدى قريش والجاهلية ، والمعلوم أن قراءة العصر الجاهلي (حكماً وعلماً) قد ارتبطت بمسميات أُخرى ، وعادات وتقاليد وعقائد وعلاقات وضعية ، عمل الإسلام بالتدرج على معالجتها ونقضها وتصحيح أفهامها ، مما هيَّج نفوس ورؤوس الكفر والجهل ، ليتحدوا مع نماذج الكفار من أهل الكتاب والأعراب ضد الإسلام وداعيه ، وكان الابتلاء شديداً ، والتآمر أكيداً ، والصبر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمام الجميع فريداً وسديداً يبينه حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة ، قلنا له: ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو الله لنا؟ قال: «**كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه ، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق با ثنتين وما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب ، وما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمنّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون**»[1].

الابتلاءات الشديدة في الأمة

السابقة وصبر المؤمنين سنة الله في المجتمعات

مراحل الصبر الإسلامي

وشهدت مراحل الصبر الإسلامي في مجتمع مكة نماذج الأذى بدءًا بالضغط النفسي والاجتماعي والأذى المباشر كوضع السلاء ،

(١) رواه البخاري برقم (٣٦١٢) ، ورواه أحمد وأبو داود وغيرهم.

ووضع الحطب والشوك على الطريق ، والضرب والخنق والشتم ، وإلى الحصار الاقتصادي والاجتماعي ، وتأليب السفهاء والعبيد في الطائف ، حتى اجتماع المشركين في دار الندوة ، وما صدر فيها من قرارات معمدة ومعتمدة بموافقة إبليس الرجيم ذاته.

مرحلة الهجرة وابتداء الفتن بأنواعها

وكانت الهجرة ذاتها مفصلاً تاريخياً في التحول والتجديد ليصل النبي ﷺ إلى مجتمع جديد برزت فيه (الفتن) مجتمعة ومتفرقة بصورة أكثر خطورة واحتكاكا بالدعوة الإسلامية المتنامية بدءاً من ظهور مدارس النفاق ونهاية بمواقف أهل الكتاب ومشاركتهم الفعلية في الحرب الظاهرة والخفية ضد الإسلام والمسلمين[1].

وأجرى الله الأسباب بأمره وحكمته ليتجاوز الإسلام نماذج الفتنة ورؤوسها ، وليسطع عَلَمُ الديانة خفاقاً في جزيرة العرب ، بدءًا بالنصر المؤزر في غزوة بدر ونهايةً بإجلاء اليهود من المدينة وما حولها، ومع هذا وذاك فأفاعي الفتن ظلت محتفظة بمواقفها

(١)واعتنى رسول الله ﷺ في المرحلة المدنية بإبلاغ علوم الساعة ومتغيراتها وكشف ﷺ علنا وجهاراً عن كل متعلقات الفتن ، والفتن المُضِلَّة واجتمع خلال المرحلة كلها علم واسع ونصوص قرآنية وحديثية تحمل قواعد وتفصيل هذا العلم الهام بدءً من تقريره ﷺ لجبريل : حديث أم السنة ونهاية بأسماء وصفات المنافقين والمرجفين وعلاماتهم وسماتهم وتسلسل مدارسهم المنحرفة وكاد القرآن والسنة الشريفة أن لا يدع مناسبة ولا سببا من أسباب كشفهم وفضح سياستهم إلا وأشار إليها إما بالإفصاح الكامل أو التعريض .##الخ .

في جحورها الخفية بين الروابي والأغوار ، وكان من آخرها مدَّعو النبوة في جزيرة العرب.

مرحلة الردة والتضحيات التي قدمت لإخماد الفتن

وبعد انتقال النبي ﷺ إلى عالم الآخرة ، وقد اكتمل أمْر الدين من كافة حيثياته وأبلغ ﷺ ثوابت الديانة ومتغيراتها ، وأودعها في صدور الآل والصحابة من المهاجرين والأنصار برزت (الفتنة من جديد) متمثلة في (مظاهر الردة) ، وهي أولى حيصات الفتن ، والتي انبرى لها الخليفة الأول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وأخمدها على مدىً ليس بالقصير ، بتقديم الضحايا تلو الضحايا في سبيل استقامة الأمر على شروطه في الحكم والعلم وإعادة شرف الديانة إلى موقعها السديد ، وتثبيت راية التوحيد في أرجاء الجزيرة ، ووضع أئمة الآل والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن تبعهم على طريق الهدي النبوي المستقيم ، وتعاون الجميع على ترسيخ هذه المبادئ وخدمة الإسلام في عاصمة الخلافة وخارجها ، بدءًا بتوفير الأسباب المؤيدة قرار الحكم الشرعي ، ونهاية بخدمة قرار الحكم والعلم ، في أنحاء المعمورة.

وخلال هذه المراحل بدءًا من عهد البعثة إلى موت الخليفة الصديق ، لم تشهد الأمة فتنة سياسية خارجية بقدر ما كانت تعاني من الفتن الداخلية بين المسلمين وبين كفار ومشركي العرب وأهل الكتاب ، والنصوص النبوية تشير إلى ذلك خلال التناول لمرحلة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما سيأتي .

لغة الفتنة في الإسلام وقاموسها السياسي

لكل شِرعةٍ رسول وكتاب ، ولكل كتاب لغة وقاموس ، وبمقدار التزامِ الوارثِ للأنبياء والرسل لغةَ كتابهم وقاموس شرعتهم بقي الأمر على قواعده ، وإذا اختل ميزان القلوب اختلت لغة البيان وانحرفت قواميس الإبلاغ ، وبدأ العد التنازلي للأمانة ، وتنامت الفتنة على أيدي وألسنة الأئمة المضلين.

إنما نرصد هنا الفتن المتعلقة بالسياسة والقرار وموقعها في الشعوب

ونحن هنا بصدد "الفتن المرتبطة بالسياسة وبالقرار وموقعها في الشعوب"، ولسنا في حاجة إلى خبراء هذا الفن المُعَقَّد في حياة البشرية ، بل نحن في حاجة إلى "منطوقات من لا ينطق عن الهوى" فهي القول الفصل ، والجد الذي لا يخالطه هزل ، وبها يُرسم للأمة المرحومة منهج السلامة من "الفتن السياسية" ، وهي محور الموضوع ، ومادته هنا ، وهي أيضاً منبع التكوين والتلوين والتموين للفتن الأخرى اعتقاديةً ، واقتصاديةً ، وثقافيةً ، وإعلاميةً ، وتربويةً ، وتعليميةً وهلم جرا.. **فالسياسة هي** أُمَّ الفتن ومفصل تكاثرها[1].. وللإسلام في نصوصه الثابتة اهتمام كبير بهذه المسألة واعتناء خاص[2]. واعتنى العلماء الأثبات بمادة «الفتنة» وأفردوا لها العديد من المؤلفات والبحوث والدراسات ، وَأَوْغَلُوا في خدمة

(١) سواء في مستوى الأئمة العدول .. أو كانت في أضدادهم ومناوئيهم ..
(٢) وخاصة في علوم فقه المتغيرات (علم فقه التحولات) .

آياتها وأحاديثها ووصف نماذجها وأنواعها. حتى صارت في عصرنا سهلة التناول ممكنة المتابعة ، لسانا وقلما وصورة وتوثيقا .

لن نأتي بجديد لكننا سنوظف المواضيع المطروحة في فقه التحولات

ولن نأتي في بحثنا هذا بجديد في الأمر ولا في تبيينه ، وإنما سنستفيد من جهود أولئك في توظيف المواضيع المطروحة فيما عرفناه بـ«فقه التحولات» **وهو الفقه** الخاص بخدمة «الركن الرابع» من أركان الدين.. ركن العلم بعلامات الساعة ، وتحويل هذا العلم من اعتباره جزءاً من علم اليوم الآخر كما اتفق عليه العلماء إلى علم مستقل الركنية والتّبعية في نصوصه ومنصوصه مرتبطٍ بأركان الدين المعروفة في حديث جبريل المعروف بـ(أم السنة)وليس منفصلا عنها ، وسنقرأ الفتن بعمومها و«الفتنة السياسية بخصوصها» من هذا المنظور المتجدد الذي أشرنا إليه في عنوان الموضوع «**لغة الفتنة في الإسلام وقاموسها السياسي**».

القراءة الجذرية للجانب السياسي من وجهة نظر النصوص تحمي الدراسة من أن تكون جزءاً من الفتنة أو معبرة عن أجندتها

والمقصود بهذا التعريف أن نصوص فقه التحولات تشير إلى القراءة الجذرية لكافة ما يقصد دراسته وتناوله في الجانب السياسي دراسة جذرية من كافة النواحي حتى لا تصبح الدراسة جزءاً من خدمة الفتنة أو معبرة عن إستراتيجيتها.. فعلى سبيل المثال نجد أن العديد من مجتمعاتنا العربية المعاصرة عند من يقرؤون السياسة قراءة الأحداث والوقائع تعتبر أنموذج الالتزام بالإسلام عقيدة وشريعة ، وتكاد أن تكون المثال الأعلى لدى مقارنتها بأشباهها وأمثالها في محيط الخريطة العربية المعاصرة بحيث يصبح التقييم الشرعي لهذه

المنطقة من خلال الواقع ذاته لا من خلال القراءة النصية عن الواقع وما سيؤول إليه ، ويصبح التناول الشرعي من واقع النص النبوي لدى مثقفي المرحلة (جزءاً من الفتنة) لأنه مخالف لقراءة الواقع وما اتفق عليه ممن سماهم النص (بالأئمة المضلين) ، ومثال آخر فيما نشهده من نماذج التغيرات والثورات ، وهو موضوع في غاية الحساسية ، وخاصة مع رموز هذه التحولات ورؤوسها ، فالواقع المشاهد صوتاً وصورة وممارسه يؤكد مشروعية (التغيير والثورة) وأنها جزء من حقوق الشعوب باعتبار القاعدة النظرية (لكل فعل رد فعل) وقانون (الكبت يولد الانفجار) ، وقد نجح هذا القانون في أحداث التغييرات المتتابعة في المنطقة العربية والإسلامية لعدة قرون ، ولكن وللأسف دون النظر الواعي في (نصوص فقه التحولات) ذات العلاقة المباشرة بالأحداث ومجرياتها وتصنيف نماذجها وأسبابها ونتائجها بل وحتى مشروعيتها وعدم مشروعيتها من الوجهة الشرعية النصية وخذ مثالاً واقعياً :

ما نشهده من نماذج الثورات والتغيير مثال للقراءة المسيسة

إننا نشهد اتفاق (أنظمة العالم المتنوعة) ممثلة بالأمم المتحدة وهي تدين نظاماً أو فرداً من أفراد الحكم في العالم العربي ، كما نشهدها في ذات الوقت وهي تؤيد نظاماً آخر ، وفرداً من أفراد المرحلة وفق مجريات التحول والتغيرات التي ترضخ في أساسها لحاجة الشعوب ومطالبها الحياتية المجرّدة.. مع أننا لو تعمقنا الدراسة كمسلمين لوجدنا أن النظام الممقوت والحاكم المثار عليه كان جزءاً

النظام العالمي يؤيد حاكما ويدين آخر مع أنه كان جزءاً من المنظومة المسيسة نفسها

لا يتجزأ من منظومة العمل المسيس لأنظمة العالم السياسية مالكة قرار المرحلة ومستثمرة تحولاتها... والنظام الجديد والمؤيد والحاكم الممدوح جزء لا يتجزأ من منظومة العمل الجديدة لمصلحة القرار العالمي المسيسة والمدانة في نصوص فقه التحولات قمة وقاعدة، فلا المرحلة السابقة بما حملته من تغير وثورة وإنجازات استقرت بما فيها، ولا المرحلة الجديدة بما تدعو إليه من آمال وأمان تحررت من أعداء حاضرها وماضيها، فالكل في (المنظومة الغثائية) كما عبر عنها فقه التحولات يعملون لهدف واحد ومستثمر دجالي حاقد.. يحفز بالجميع عبر السياسة الدجالية (علمانية أو علمنية أو عولمية) إلى ما سماه النبي ﷺ بدخول جحر الضب: «**حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**» قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال «**ومن؟**»[1].

لا المرحلة السابقة بتوارثها وإنجازاتها استقرت بما فيها، ولا المرحلة الجديدة بآمالها تحررت من أعداء حاضرا وماضيها

إن النصوص النبوية في فقه التحولات لا تعطي أي حصانة لنظام سياسي في المرحلة الغثائية، وإنما قد تعطي إشارة أو بشارة للشعوب المتمسكة ببعض عرى الإسلام دون البعض.. «**كلما نقضت عروة تمسك الناس بالتي تليها-أولهن نقضاً الحكم وآخرهن الصلاة..**»، وعن أبي أمامة الباهلي، عن رسول الله ﷺ قال: «**لتنقضن عرى**

إن نصوص التحولات لا تعطي أي حصانة لنظام سياسيات المرحلة الغثائية وإنما للشعوب فقط وبقدر تمسكها بعرى الإسلام

(١) مسند أحمد برقم (١٠٦٤١)، وفي البخاري برقم (٧٣٢٠) بلفظ: «حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم»، وابن ماجة برقم (٣٩٩٤)، وأبو داود برقم (٢٢٩٢) بلفظ: «لدخلتم فيه» قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن إذاً؟».

الإسلام عروة عروة ، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها ، وأولهن نقضاً الحكم ، وآخرهن الصلاة»[1]. وهذا النقض المتتابع في العرى يشير إلى انحدارات خطيرة في مستوى القرار باعتبار قوله : «**كلما نقضت**» بالبناء للمجهول.. (مفصل القرار السياسي) الذي يعمل لتنفيذ البرامج المسيسة طوعاً وكرها.. كما يشير إلى ضرورة قبول الشعوب هذا النقض المسيس دون قدرتهم على تغييره ، وإنما قدرتهم في الحفاظ على ما دونه من العرى «**تمسك الناس بالتي تليها**» ثم يشير الحديث إلى تراتب النقض المسيس خلال مسيرة الحياة الغثائية «**أولهن نقضاً الحكم**» وهكذا يكون النقض في كل مرحلة (المؤامرة المدبرة على نقض القرار) بأي أسلوب وأي وسيلة وأي حجة ... «**وآخرهن الصلاة**» ويلحق نقض الحكم وإزالة القرار العمل على نواقض أخرى تخص العلم بثوابته المتعددة حتى يبلغ النقض المتراكم من مرحلة إلى أخرى ، ومن نظام إلى آخر حتى تنقض الصلاة في كافة شؤونها العلمية والعملية نصًّاً ورُوحا.

«كلما نقضت عروة» بالبناء للمجهول يشير للقرار السياسي الذي ينفذ النقض و«تمسك الناس بالتي تليها» يشير لقدرة الشعوب على الحفاظ على ما دونه وليس إلى القدرة على التغيير

نقض الصلاة خلال مرحلتين:

الأولى: مرحلة الاستهتار

وقد شهدنا نقض الصلاة خلال مرحلتين متناقضتين: الأولى مرحلة الاستهتار والشيوعية ، وقد استخف بالصلاة والمصلي حين صارت مطعنا ومغمزا في وطنيته وولاءه ..

الثانية: مرحلة الاستثمار

والثانية في مرحلة الاستثمار ومع ظهور دعوات النقض والقبض المتأسلمة من طاعن المذهب والولاء والانتماء ، ومبطل الصلاة

---

(١) مسند أحمد برقم (٢٢١٦٠).

خلف الصوفي والقبوري كما يطلق عليه بشبهات ملفقة ، ولا زلنا ننتظر نماذج أخرى من نماذج النقض للصلاة في مسيرة التحولات الموعودة .

بين نقض الحكم ونقض الصلاة نواقض عديدة تحتاج إلى متابعة وتقص واسع

وكم بين نقض الحكم ونقض الصلاة من نواقض عديدة ربما احتاجت إلى متابعة وتقصٍّ واسع على مدى تاريخ النقض السياسي والنقض العلمي الشرعي منذ سقوط مرحلة القرار الإسلامي الواحد إلى مرحلة الغثائية المعاصرة ، ثم إلى ما سيأتي من لاحق المرحلة ذاتها إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً .

الفائدة من معرفة الفتن المضلة: مواجهة الغزو الشيطاني

وقوام هذه القراءة أننا هنا أمام دراسة جدّية وجديدة بين سابق القراءات ليتحقق كشف هوية (الفتن المضلة) وترجمة غوامضها اللفظية والعلمية لتصبح عادة علم شرعي نستند عليه في مواجهة الغزو الشيطاني ومعرفة الثغرات الطّبْعية التي تدخل منها جملة النواقض والنقائض سواء في ماضي تاريخ الأمة الإسلامية ، أو في حاضرها المعاصر.

السياسة في فقه التحولات قائمة على دراسة الفتن المضلة

فالسياسة في لغة فقه التحولات قائمة على (دراسة الفتن المضلة وما ورد فيها من نصوص قرآنية ونبوية) وما استعاذ منه النبي ﷺ وعلمنا أن نستعيذ منه ، والمادة الحديثية غنية بنماذجها وأنواعها بدءًا بفتنة المحيا وفتنة الممات وفتنة القبر وفتنة المغرم والمأثم حتى الاستعاذة من فتنة المسيخ الدجال.

وكل فتنة تمهد لغيرها ، وكلها في نهاية مطافها تُبَلِّغُ المفتونين إلى

الخدمة الاحتناك الشيطاني: ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦]، وخدمة الشيطان تنطلق من عنصرين طبعيين:

تبنى خدمة الشيطان على المنافسة والتحريش

الأول: المنافسة

الثاني: التحريش.

وكلا العلتين وسيلة من وسائل الشيطان لإفساد الأمم والشعوب كما نص على ذلك حديث من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله وسلم.

وليس هنا مجال تفصيل ذلك وإنما نشير إلى هذه العلل ليقرأ عنها المستفيد الراغب في فوائد هذا العلم وأثره في معالجة هذه العلل الناخرة وحدة الأمة وتماسكها المطلوب.

تحذير القرآن من الفتن السياسية في عصور صدر الإسلام

فتن حفظ الله فيها نبيه ﷺ:

منذ أنزل الله القرآن على نبيه محمد ﷺ وهو يحذر من الفتن وآثارها ، وخاصة تلك الفتن التي تخص "الحكم والعلم" ومنها فتن دبرها اليهود ونسجوها ليثنوا رسول الله ﷺ عن بعض ما جاء به الوحي من الأمر الشرعي فقال: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ [المائدة:٤٩] وفي الآية تحذير للرسول الكريم أن لا يتأثر بمكايد اليهود السياسية.. قال ابن جرير في تفسيره: (واحذر يا محمد هؤلاء اليهود الذين جاؤوك محتكمين إليك أن يفتنوك فيصدوك عن بعض ما أنزل الله إليك من حكم كتابه فيحملوك على ترك العمل به واتباع أهوائهم) ا.هـ تفسير الطبري[1].

---

(١)بل إن المرحلة المدنية شهدت مواقف عملية تشير إلى اهتمام الرسول ﷺ بجذور الفتن المضلة كاهتمامه بابن صياد اليهودي ومفاجأة منزله يوم ولادته وتتبع خبره حتى يفاعه ، ومقابلة الرسول ﷺ له في أكثر من موقف حتى أجمع بعض الصحابة على أن الدجال هو ابن صياد ، وما ترتب بعد

مسألة الفتنة والافتتان ببعض ما يطرحه المشركون

وأشار القرآن أيضاً في آية أخرى إلى مسألة (الفتنة والافتتان) ببعض ما يطرحه المشركون على رسول الله ﷺ، وما يبذلونه من جهد في إقناعه ومحاولة صرف نظره عن الوحي إلى ما فُتِنُوا به واستحسنوه، ولكن حفظ الله وتوفيقه لنبيه وتثبيته له ينفي عنه ﷺ شر كيدهم ومكرهم وخبث سياستهم قال تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـٔٗا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الإسراء:٧٣-٧٤] وفيها قال بعض المفسرين: (إن في الآية تشريفاً لرسول الله ﷺ، أو دليلاً على مقامه عند الله تعالى حيث حفظه الله وعصمه من كيد الكائدين وفتنهم المدبرة..).

فتنة المنافقين ونماذجها:

دور المنافقين في صناعة الفتن وإشاعتها

أكد القرآن العظيم دور المنافقين في صناعة الفتن وإشاعتها وتبنيهم لها وتنفيذها حيث ما أمكن لهم ذلك، كمثل ما وصف الله حالهم في الجهاد في سبيل الله بقوله: ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْۗ ﴾ [التوبة:٤٧] وفي هذه الفتنة اختبار لفئة المنافقين وكشف من الله لحقيقة حالتهم ونيتهم، وإلى ذلك تشير الآية الكريمة: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا

ذلك بل تأكيد النبي خبر الدجال بصورة أخرى رويت من حديث تميم الداري في كتب الصحاح وغيرها.

هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ [التوبة:١٢٦] وفي موقع آخر من الآيات يصرح الحق سبحانه بحقائق ما في قلوبهم من الفتنة فقال: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [التوبة:٤٨]

فتنة النفاق أعظم الفتن السياسية

وفي آية أخرى يصف نموذج الافتتان المثبط عن الخروج في سبيل الله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [التوبة:٤٩] وبهذا كانت «فتنة النفاق» وما تمخض عنها من الزور والبهتان والإفك من أعظم الفتن السياسية التي حذر منها القرآن وكشف أحوال مقترفيها ، وأن بهم أمراضاً متنوعة أدت إلى ما بهم من فتنة وانحراف قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ [الحديد:١٤] فالتربص ، والارتياب ، واستتباع غرور الأماني والوقوع في حبائل الشيطان كلها من أعمال المنافقين والعياذ بالله.

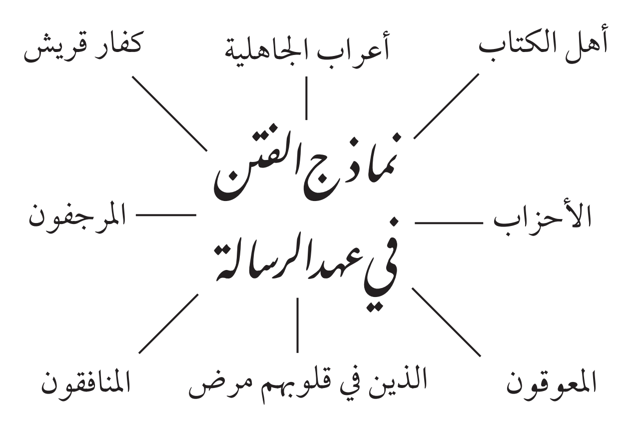
سورة المنافقون تبين أصول مناهج النفاق وتطبيقاته

وكانت نماذج الفتن النفاقية فتناً سياسيةً تعمل على إفساد علاقة الناس بأمري قرار الحكم والعلم ، وتكاد أن تكون سورة المنافقون من أشمل سور القرآن لخطط المنافقين وأساليب معاملتهم المفتونة المتنوعة ، بدءًا من عصر الرسالة والوحي ونهاية بمرحلة الدجال ، ويمكن أن يطلق على هذه السورة مسمى (أصول مناهج النفاق وتطبيقاته) ويتفرع من القراءة الواعية للنص وتحليل المواقف

النفاقية كافة الأنظمة والقوانين المسيسة التي تتبعها المدارس النفاقية في مستوى الحكم والعلم عبر التاريخ إلى اليوم وإلى عصر نهاية الدجال الأعور مستثمر النفاق وسياساته المنحرفة .

خطر الفتنة والافتتان على جيل الغثائية

وإذا كان القرآن يحذر من لا ينطق عن الهوى من خطر الفتنة والافتتان، ويكشف للنبي ﷺ أسرار العمل النفاقي والجاهلي المفسد ، ويطلب منه الحذر والحيطة ، فما الذي يجعل جيل المرحلة الغثائية يأبى التصديق بثائرة الفتن، ويأبى حتى تسمية الحوادث المعاصرة بالفتنة ، ويرى الجميع سلامة مواقفهم وسلامة ارتباطهم السياسي بالنصوص الإسلامية ولا يستشعر أحد من عِلّيَّةِ القوم فضلاً عن رعاياهم علاقة الانحدارات الاجتماعية والثقافية والسياحية والاقتصادية والفكرية التي نعيشها بمفهوم الفتن المضلة كما عبر عنها رسول الله ﷺ في مجمل أحاديث العلم بعلامات الساعة.



الفتنة السياسية بعد مرحلة الرسالة

كانت قوة الإيمان في مجموع أصحاب النبي ﷺ وكمال معرفتهم بعظمة الإسلام وَعِظَمَ المسؤولية ، سبباً في وَأْد الفتنة السياسية التي كادت أن تنشأ بُعَيْد وفاة النبي ﷺ ، وكان مصدرها الخلافة للأمر..

قراءة الصحابة لفقه التحولات حسم الخلاف على الخلافة وحوله إلى موافقة إيجابية

ومع أن آثار هذه الفتنة وئدت في مهدها الأول رغم تدخل الشيطان بادئ الأمر بالإثارة والتحريش والمنافسة إلا أن قراءة الصحابة لفقه التحولات ومجرياته كانت قائمة على فهم التميز النصي بين (نصوص المناقب ـ ونصوص المواقف) مما حسم الخلاف وحوله إلى إيجابية وموافقة ، وانقطعت عين المشكلة من جذورها. ولم يبق في المسألة عند عودة الاختلاف حولها فيما بعد إلاّ أنها جزء من تسييس القضايا وسوء الفصل بين فضائل المناقب وشرف المواقف ، لدى رموز الفتن السياسية المشتغلة بالحوادث دون التعمق في النصوص والحصانات وسيجد القارئ لفقه التحولات كيف تفهم الفتن وتقرأ الأحداث من واقع النصوص لا من واقع الحدوث والمباشرة ، وما لهذه القراءة عند استيعاب تفاصيلها من فائدة وعائد على الفطرة التي فطر الله الناس عليها بعيدا عن التصور العاطفي والتعصب الطائفي ، فمسألة القرار الشرعي لا ترضخ لهذين المعادلين ، وإنما

ترضخ للنصوص الضابطة شأن العاطفة وميل الطائفة[1].

---

(١) وقد حفظ الله الصحابة من الفتنة في (مطلع بناء الدولة الإسلامية) بعد موته ﷺ لما لديهم من قراءة نصوص النبوة ، فكان لفهم النص ثباتاً يمنع من الاندفاع والمتصرف الانفعالي كقوله ﷺ : «من نجا من ثلاث فقد نجا ، موتي وقتل خليفة مصطبر والدجال» وكل المفاصل الثلاث فتن سياسية وحيصة من حيصات الفتن ، وكان موت رسول الله ﷺ أول ابتلاء وأشدها ، وبصرف النظر عن التعليلات العقلانية ، فالموقف المتخذ من السقيفة كان أرفق نماذج الاجتهاد للخروج من الفتنة في ساعة الاختلاف على القرار ، ولو كان هناك حل آخر أو مخرج آخر أو مخرج أولى وأفضل لفرض نفسه بُعيد ساحة الحسم واجتمع عليه المسلمون بلا منازعة .

فالمسلمون لا يجتمعون على ضلالة ، والقرار الشرعي في هذه المرحلة في غاية الأهمية والحساسية ، والاجتماع على درء الفتنة وإخماد مصادرها أهم وآكد من ترك الأمور دون حزم وموقف مناسب .

والحكم من مسلم أو من عالم جماعة أو مذهب على صحابي معدل وحاكم أمة عاش مع جملة من الصحابة العدول ، يقيم العدل وينصح للمسلمين وينشر الفتوح الإسلامية في أقطار الأرض ، يعد هذا الحكم والتكفير والطعن استهزاءاً واستخفافاً بالإسلام وبالمسلمين الذين عاصروه ورضوا بحكمه وصلوا خلفه وائتمروا بأمره ، ولن يكون هذا الموقف الجريء إلا عملا شيطانيا توارثه جملة من أتباع الشياطين ووضعوا له فقه التبرير والمغالطة . فالمناقب التي يعدلون بها من يحبون إنما جاءت على ألسنة وزمن الصحابة والتابعين الذين عاصروا العدول من الخلفاء والصحابة ، ولذلك لم يأل أولئك جهداً في ذكر المناقب كما ثبتت وذكر الأخطاء والمثالب كما وردت ، وليس أحد منهم معصوما بل الخطأ من

إذا دخلت علة السياسة كفتنة في أمر من أمور الديانة دخل معها الدجل وفيروس الدجال

طبيعتهم والصواب رغبتهم وهدفهم ، والاجتهاد المشروع سياجهم وحصنهم ، والنصوص الواردة في فضائلهم إبان حياة من لا ينطق عن الهوى هي أصل العلاقة بهم ومحبتهم ، وقد كفانا رسول الله ﷺ مهمة القدح والذم بما ورد عنه في كل مقدوح ومذموم في حياته ﷺ ، وبعد مماته ، كما كفانا أيضاً مهمة الممدوح والمعدل بما ورد عنه في كل ممدوح ومعدل ، وغاية ما يفعله المغرضون الطعن في الأسانيد وعدالة الرواة ونقلة الأخبار.

ولهذا فإن الحقيقة التي لا محيد عنها .. أن الطاعنين واللاعنين هم ضحايا فقهاء الحوادث مثلهم مثل ضحايا مدارس التشريك والتبديع في المنهج المنسوب لأهل التسنن ، فالمشكلة في الفريقين واحدة .. وهي خروجهما عن النصوص إلى الإفراط والتفريط سواء في سوء التفسير للنص .. أو في وقوعهما في ولاء وبراء الحوادث والوقائع السياسية التي تشكلت بها مواقع قرار الحكم أو العلم في تاريخنا الإسلامي العريق .. وتاريخنا الاستسلامي الحديث .

وهذه في حد ذاتها مشكلة يصعب الخلاص منها إلا إذا تخلص القوم من أسبابها وعللها وعلاقتها المشينة بمبدأ الشيطان الرجيم (فرق تسد) .

وهل يا ترى هل أحد يصدق أن هذا الهراء المدلل مبدأ الشيطان الرجيم ، وأنه لون من ألوان الاحتناك والتحريش والمنافسة بين أهل الدين الواحد والمصير الواحد والنبي الواحد والقرآن الواحد .. وقبل هذا كله المعبود الواحد ..

لقد أفضت التعليق الإضافي هنا باعتبار المرحلة المعاصرة وما أظهرته الأسباب من لغة التحريش بين منسوبي أهل السنة من جهة ، ومنسوبي

معها الدجل وفيروس الدجال سواءً كان المعلول حاكماً أو عالماً أو جاهلاً ، وتحديداً منذ عصر مقتل الخليفة الثالث ، فالنص هنا يربط بين (العمل السياسي المفتون والدجال) حيث إن هذه المرحلة قد طغى فيها الهوى والتعصب ، وذهب أكثر الصحابة العدول إلى مولاهم ، واستشرت فتنة الخوارج وأهل النفاق والطامحون إلى القرار ولم يبق منذ هذا العهد ضابط للعدالة في السياسة والعلم سوى النصوص الخاصة بفقه التحولات ونصوص المناقب ، ومثلها مواقف الأئمة العدول كموقف الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وآل بيته كالإمام

الشيعة من جهة أخرى ولغة التحريش وأنها لغة شيطانية يرعاها الشيطان بواسطة وكلائه الآدميين .. وبها يدمر الشعوب ويحفز بها في الدنيا إلى ما سماه الحديث الشريف بجحر الضب وإلى ما سماه القرآن (حزب السعير) يوم القيامة ..

وتفصيل هذا العلم مبثوث في جملة أحاديث العلم بعلامات الساعة، وهو العلم الضابط للمرحلة ومجرياتها ، والعلم الوقائي الحافظ لثوابت علم الأصول من جهة ، والعلم الحافظ والمجدد للغة الدعوة إلى الله .

وسيأتي اليوم الذي يصطدم الشيطان بين الفريقين المصطفين لهذه المصيبة المنتظرة .. ولن يسلم منها إلا الحاملين لواء السلامة من أطراف الفريقين أهل الاعتدال والوسطية الشرعية .. وسلامتهم إما حفظ ألسنتهم من الذم وحفظ أيديهم من الدم ..، أو سلامتهم يوم لقاء الله إن اجتاحتهم جحافل الإفراط والتفريط وأجبرتهم على الموت في أتون الفتنة الحالقة المبيرة الهالكة .. نسأل الله الحفظ والعون والسلامة ..

الحسن والحسين وعلي زين العابدين ، وموقف الصحابة كعبد الله بن عمر وحذيفة بن اليمان ، وأبو هريرة وغيرهم فهؤلاء حفظوا للنصوص الشرعية ماء الوجه وعدالة الالتزام بالمواقف وصانوها عن التلوث بداء الدجل والتسييس ، ومع هذه الصيانة نُوزِعوا في مواقفهم ، وسعى الدجاجلة المقنعون لإقصائهم ومغالبتهم بالتدجيل والتطبيل وبالنص المحرف عن موقعه ومعناه.

وقد أثبت النص الحديثي صوراً من هذه النماذج الخطيرة كمثل عمار بن ياسر يوم ساح دمه في معركة الشرف إلى جانب الإمام علي اضطرب المناوؤن للإمام وتذكر الجميع قول المصطفى ﷺ: «**عمار تقتله الفئة الباغية**» ، وانتدب علماء السياسة المعلولة بالفتنة لهذا الحديث المنصوص عليه وقالوا: (الفئة الباغية هي التي جاءت بعمار من بيته إلى ساحة القتال) فصارت علة السياسة الدجالية تحريف النصوص وليس مخالفتها ، وصارت سنة الدجاجلة ووسيلتهم في التحريف (فقه المبررات والمغالطات) كما اتخذ أرباب السياسة الشرعية مواقف جديدة تتناسب مع هذه التحولات الخطيرة في المفصل السياسي للقرار ، فكان من أول قرارات الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند مبايعة الناس له ، إقصاء المشتبه في سياستهم رغبة منه في تطهير موقع القرار من العلة الدجالية في السياسة ، فاصطدم العدل الأساسي بالدجل السياسي والتبس الأمر حتى على بعض كبار الصحابة أنفسهم كالزبير وطلحة وعائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ، ولم يستفق

علة السياسة الدجالية تحريف النصوص وليس مخالفتها

العقلاء إلا على سيل الدماء وتمزيق الانتماء ، واتسع الخرق على الراقع حتى قتل عدل السياسة عند باب المسجد ، وانفتح باب التطلع إلى الرئاسة والطمع على غير سابق مثال.

الإمام الحسن أنقذ القرار الشرعي وعزله عن القرار الطبعي نتيجة امتلائه علماً وحلماً وحكمة وطول تجربة

وجاء الإمام الحسن ممتلئاً علماً وحلماً وحكمة وطول تجربة ، وقد مارس مراحل العدل الأساسي وشهد الدجل السياسي في المحيط كله ، ولم يطل به المقام أكثر من شهور ستة ، واتخذ المَوْقف البطولي النادر الذي سبق به(عدول السياسية) فأنقذ القرار الشرعي وعزله عن القرار الطبعي النفعي ، ورمى بالظالمين على الظالمين ، وحرر بذلك الفعل تجديد تاريخ السلام الشرعي والعدل السياسي من كراسي القرار الموبوءة إلى: ﴿بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٦-٣٧].

كانت خطبة الإمام الحسن حاسمة العدل والدجل

وكانت خطبته القصيرة في لفظها ، الكبيرة في معناها ومغزاها ، حاسمة بين العدل والدجل إذْ قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (إن الله هداكم بأولنا وعصم دماءكم بآخرنا وإن معاوية نازعني أمراً أنا أحق به منه ، ولكني تركته حقنا لدماء المسلمين).

وتحدد في نص هذا الخطاب التاريخي فصل تاريخي بين المراحل الشرعية والمراحل العضوضية البدعية والتخرصات السياسية النفعية.

فقد أغلق الإمام الحسن باب الفتنة بحقن الدماء ، وجعلها سبباً في التضحية بقرار الحكم وأَلْمَحَ بفطنته الأبوية إلى خطورة الأمر لو فتح باب المطالبة مرة أخرى ، وأن ثمن المطالبة به إسالة الدماء حيث لا مكسب غير الدم والذم ، وكفى بهذه المقولة منهجاً عملياً علمياً يؤيده ويعضده ويضع بصمة العالمية(نبوية أبوية) قوله ﷺ : «**إن ابني هذا سيد وسيصلح الله عز وجل به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**».[1]

الإمام الحسن هو السبب في حقن الدماء بين المسلمين

وكان الأمر كذلك ، فرجال العدل السياسي كالحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وزيد بن علي وأمثالهم اجتهدوا في إعادة الأمر إلى نصابه والدخول إلى قرار العدل من بابه ، فكان مصير الأئمة العدول الشهادة يوم قاموا للحق وبالحق ، ولم يتحقق لهم الأمل المنشود ، كما تحول الأمر والمطلب إلى اليوم (مبعث نزاع وصراع) وإثارة وتنافس وتحريش ، والتاريخ الإسلامي في مراحله المتقلبة خير شاهد على ذلك ، وما نراه ونسمعه ونعيشه اليوم وقبل اليوم من فتنة قرار الحكم والعلم والتنافس والتحريش بين المصلين أكبر شاهد على ما جرى منذ عهد

العدل السياسي هو إعادة الأمر إلى نصابه والدخول إلى قرار العدل من بابه

---

(١) مسند أبي داود برقم (٩١٥) ، ومسند أحمد برقم (٢٠٤٤٨) ، وزاد فقال الحسن (فو الله والله بعد أن ولي لم يهرق في خلافته ملءُ محجمة من دم) ، وفي الترمذي (ويصلح) برقم (٣٧٧٣) ، وفي مسند البزار لرقم (٣٦٥٦) ، «وإن الله سيصلح) ، وفي المعجم الأوسط للطبراني (٢٥٩٧) ، وفي المعجم الكبير برقم(٢٥٩٢) «وإن الله سيصلح على يديه».

الإمام الحسن وما بعده وما قبله.

الإفراط والتفريط سبب لإضاعة الموقف الشرعي لأئمة العدل السياسي في المسيرة الشرعية

إن التناول الفج لدى طرفي الإفراط والتفريط لقضايا التاريخ الإسلامي أضاع الموقف الشرعي لأئمة العدل السياسي في المسيرة الشرعية ، وألقى بظلال البغضاء والحقد والانتقام والتشفي النابع من صدور ومواقف هذين الطرفين ، بل وغلب الانفعال الطبعي على المتعصبين في هذه القضية وأشباهها ، ولم يعد هناك مجال للنظر المتأني والفصل الواعي بين مواقف البغاة القتلة الهالكين ، وبين مواقف الأئمة الهداة المتقين ، وانقلب الأمر إلى موقفين متعارضين لا ثالث لهما:

- إما موقف الملك العضوض المدان
- أو موقف المطالبين بالثأر والانتقام على طول الزمان

أدرج الشيطان كافة مواقف العقلاء ووراث النبوة في إحدى زوايا الإفراط والتفريط

وأدرج الشيطان كافة مواقف العقلاء ووراث النبوة في إحدى زوايا الإفراط أو التفريط حتى بلغ الغلوّ لدى فريق ادعاء الكفر والنفاق في أكابر الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وأدى الجفاء إلى فريق آخر الأخذ بجريرة الاسم والمذهب والطائفة دون اعتبار للنسب والعلم والمواقف.

معرفة فقه الفتن ومضلاتها ومنهج السلامة والنمط الأوسط سبب للسلامة من خطر الإفراط والتفريط

إنها مصيبة حقيقية ولا زال خطرها يلتهم الأخضر واليابس ، ولا مخرج منها ومن أوارها إلا بمعرفة فقه الفتن ومضلاتها وأثرها المدمر بين الفريقين ، ومعرفة منهج السلامة ، ومسلك النمط الأوسط من جهة أخرى للمتميز بين الفئتين ، وتربية جيل إسلامي معتدل

الوعي ثابت المواقف بعيداً عن علل الصراع والنزاع مستوعباً فقه التحولات وملتزماً بالنص ، وموالياً لمخرجاته الشرعية ، ومجانباً فقه المبررات والمغالطة الذي عم الفرق والجماعات ، ومقدّما مقولات النبوة في جانبي المناقب وتوظيفها في مناسبتها من جهة ، ومقولات التحولات والمراحل وتوظيفها في مناسبتها ، أو عدم الخلط بين النصوص أو بتر معانيها ، حيث فعل هذا الخلط جملة من حملة الأقلام ومتعصبي الأفهام ، مما أوصل الفريقين المتعارضين إلى محاربة ثقات آل البيت ممن لهم موقفٌ وسطٌ بين الموقفين (الغلو والجفاء) ، وصار الانتماء والولاء والبراء لا يتعلق بصحة النسب وعدالة السند المكتسب ، وإنما يتعلق بالجماعة والمذهب والانتماء المركب(وكل يغني على ليلاه).

أهمية ربط الفتن بالمدارس ومفاصل المراحل

تبرز إلى اليوم جديد المؤلفات والكتيبات والرسائل عن علامات الساعة وعن الفتن ودراسة أنواعها وأشكالها ، والعجيب في هذه الإصدارات أن العديد منها يخرج من ضئضئ مدارس الفتن ذاتها ، ويظهر من مواقع التّمرحُل السياسي المدموغ بالنص الشرعي في فقه التحولات ..

مثله كمثل الدراسات العلمية الصادرة عن تحريم الربا ومعاملاته من إدارة البنوك الربوية ذاتها، فالفتاوى والدراسات تتناول أحكام التحريم وصفة الإدانة والتجريم وفق النصوص الشرعية ولكنها لا تمس الواقع المعاش بإدانة ، ولا تضرب مثال الجنوح والانحراف من واقع الإدارة البنكية والمصرف الربوي المشبوه ، بل ربما دافع الكُّتاب والباحثون وعلماء المرحلة عن النظام وما فيه ، واعتبروه مثال الالتزام بالديانة وتطبيقاتها الشرعية وأدانوا من خلاله بعض العناصر الخارجة عليهم والمتطرفة التي انفصلت عن (المدرسة) ذاتها بعد أن كانت جزءاً منها ومحسوبة عليها وربما كانت جزءًا لا يتجزأ من ثقافة المرحلة وتوجه عناصرها وقادتها في الحكم والعلم . مما يخلط الأوراق على العوام وبعض المثقفين ، وتضل الشعوب في حلقة مفرغة من التثبت في الأمر وفسحة من إدانة الرموز المعينة في

النصوص..

القراءة الشرعية لفقه التحولات ومعرفة وظائفه العلمية هي المخرج من خلط الأوراق

ولعل المخرج من هذا التيه المتعمد.يكمن في القراءة الشرعية لفقه التحولات ومعرفة وظائفه العلمية ذات العلاقات بتحديد (الفتنة مدرسةً ومرحلةً ، وتسلسلاً ، وعلاماتٍ ، ومواقفَ...)

الطوفان السياسي طغا على المجتمعات والحل هو فقه التحولات

حيث إن الطوفان السياسي قد طغا على المجتمعات العربية والإسلامية ليعيد تشكيل المواقف وفق الحالة ورهن البرنامج المعدّ للشعوب ، ومهمة فقه التحولات إعادة الأمر إلى النصوص .. وربط الواقع بها .. وربطها أيضا بالواقع المتحول .. ودراسة الايجابيات العلمية والعملية في عملية التحول ووضعها في موقعها النافع ثم عزل السلبيات المصنعة والمقنعة ذات العلاقة بفعل الشيطان والدجال ووكلاءهما في العمليات الإنسانية: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾ [الأنفال:٤٢].

والبينة في تصورنا ومن خلال فقه التحولات هي قراءة نصوص السنة الشريفة الخاصة بعلامات الساعة عن تقلبات المراحل وظواهرها السلبية سواء في قضايا العلم والاعتقاد وما تفرع عنهما أوفي قضايا الحكم والاقتصاد وما تفرع عنهما ..

الغارقون في سبات العادة والمألوف لا تتحقق على أيديهم الدراسة الشرعية لفقه التحولات

ولن تتحقق مثل هذه الدراسة الشرعية على أيدي الغارقين في سبات العادة والمألوف سواء في الجانب السياسي أو الجانب العلمي الشرعي. بل ربما وقفوا ضد مثل هذه الدراسة وفسروها بما ألفوه من الرفض والإباء

وإنما يتحقق مثل هذا الأمر على أيدي القارئين لحديث جبريل برباعيته التامة الشاملة.. والجامعين بين دراسة الثوابت والالتزام عمليا بها وبين دراسة المتغيرات ومعرفة نقائض المراحل ونواقضها.

وبهذه القراءة الشرعية – إن تهيأت ـ تبدأ خطوات معرفية ومعاملات مصرفية وعلاقات صوفية وسلفية وسنية وشيعية وسياسية واجتماعية من نوع جديد ووعي أكيد.﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ١٣ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٦﴾ [البروج:١٣-١٦].

الفتنة السياسية الأولى

علامة وسطى

وفاته ﷺ وما ترتب عليها

خبر الوفاة / بيعة السقيفة / حروب الردة

حدد النبي ﷺ في العلامات الوسطى موقع موته من الفتن .. وأشار في الحديث السابق ذكره :«من نجا من ثلاث فقد نجا» وذكر منها قوله : «موتي» ، وسيأتي لاحقا تفصيل بشأنه ، ومن المعلوم أن من أشد الفتن التي فوجئ بها أصحاب النبي ﷺ (خبر وفاته عليه الصلاة والسلام) ، حيث كان للخبر أثر كالصاعقة على الجميع وقد وصفت كتب السيرة مجريات الحيرة والصدمة الواقعة على الجميع ، ولم يثبت له فيها على المستوى الخاص إلا آل البيت وفي مقدمتهم الإمام علي والعباس رضي الله عنهم أجمعين ، واشتغل كل منهم بتثبيت من عناه أمره في تلكم الحالة الصعبة على الجميع ، وحتى مسألتا الحكم والخلافة كان أول من اشتغل بشأنها ومناقشة أمرها أنصار المدينة قبل المهاجرين باعتبار علاقتهم بالموطن والبيئة ، وجاءت في هذا

المسألة قضية سقيفة بني ساعدة التي سماها عمر بن الخطاب (فلته) لأنها كانت فتنة ضمن فتنة الوفاة والانتقال لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ [1]، وقد وقاهم الله شرها بتثبُّت أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الحكم كثباته في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ساعة إعلان خبر وفاته ، وكان بهذا الثبات رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جديراً بالخلافة وجديراً باطمئنان صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على الأمانة ومهمة الخلافة بعد وفاته عليه الصلاة والسلام بإجماع القوم كلهم .

كان الصديق محاطاً بإخوانه من المهاجرين والأنصار وموافقة أهل البيت

وبصرف النظر عما تتقوله ألسنة الناس اليوم وقبل اليوم فقد جمع أطراف الأمر ليكون في يد الصديق محاطاً بإخوانه المسلمين من المهاجرين والأنصار ، وبموافقه أئمة آل البيت وفي مقدمتهم الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وكانت موافقته بارزة فيما يلي :

١. بيعته لأبي بكر الصديق بصرف النظر عن وقتها .
٢. مشاركته في إدارة شوؤن الدولة .
٣. عدم اتخاذه أي موقف معارض يجتمع عليه ثلاثة فما فوق ضد الخلافة
٤. عدم حمله سلاحا لإقرار الحق الذي يلزمه القيام به إن كان قد عهد إليه بذلك .
٥. قبوله الخلافة بعد مقتل عثمان من غير اعتراض على سابقيه أو تناول أحد منهم بسوء ..

---

(١) كما وصفها النص بأنها واحدة من ثلاث من نجا منهن فقد نجا.

٦. إطلاعه التام من خلال علمه بفقه العلامات والمتغيرات بسلامة مرحلة الخلافة الراشدة ، وسلامة اجتهاد الصحابة ..خلافا لما كان عليه موقفه من عدم قبوله مصالحة أهل الشام ومحاربته للخوارج تبعا لعلمه التام بالنص المبين حقيقة حالهم وموقفهم .

الحكم الشرعي كان على الوجه الصحيح من عهد الرسالة إلى عهد الخلافة بإجماع الصحابة ومباركة آل البيت

ولهذا يتضح انتقال الحكم الشرعي من عهد الرسالة إلى عهد الخلافة على الوجه الصحيح بإجماع الصحابة ومباركة آل البيت وعدم وجود الاعتراض المفضي إلى وجود كتلة منازعة أو متخذة موقفا سلبيا عن الحاكمية .

وكانت هذه أول أسباب النجاة التي أشار إليها ﷺ في قوله : «من نجا من ثلاث فقد نجا ، موتي ..» .

وبهذه المواقف والمعالجات نجت المرحلة ومن فيها من الوقوع في المحذور ، وسار الأمر على مقتضى القدر المقدور ..

مظاهر الردة بعد موت النبي ﷺ

الفتنة السياسية الأولى

علامة وسطى

وقد أشارت كتب السير والتواريخ ـ ومنها كتاب (الخميس في أحوال أنفس نفيس) (٢:١٠٣)ـ إلى أنه : «لما توفي رسول الله ﷺ عظمت بموته مصيبة المسلمين .. قال ابن إسحاق وكانت عائشة فيما بلغني تقول : «لما توفي رسول الله ﷺ ارتدت العرب ، واشرأبت اليهودية والنصرانية وعم النفاق ، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم ﷺ .

تعرض الإسلام إلى اختبار شديد بعد وفاة النبي ﷺ

وبالنظر في هذه العبارات التاريخية يتلخص لنا أن الإسلام بعد موت رسول الله ﷺ تعرض إلى اختبار شديد في نفوس أصحابه.. وأن الجاهلية بكافة نماذجها وصورها أطلت بأعناقها وتشوفت بأبصارها إلى التمرد والعصيان ، حتى قيل أن أكثر أهل مكة هموا بالرجوع عن الإسلام، حتى توارى عنهم من الخوف عتاب ابن أسيد ـ وكان أميرهم ـ فقام سهيل بن عمرو فحمد الله وأثنى عليه ،

ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ ، وقال : إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة ، فمن رَابَنا ضَرَبْنا عنقه ، فتراجع الناس وكفوا عما هموا ..

ويتجسد مثل هذا الموقف في كافة أنحاء الجزيرة ، فقد ورد في (معالم التنزيل) أنه لما قبض رسول الله ﷺ وانتشر خبر وفاته ارتد عامة العرب إلا أهل مكة والمدينة والبحرين من عبد القيس ، ومنع بعضهم الزكاة .

هذه مواقف شر تندرج تحت مسمى الفتن المضلة وحيصات الفتن

ولا شك أن مثل هذه المواقف تندرج تحت مدلول الفتن السياسية المضلة ، ومسمى حيصات الفتن.. وكانت أول معالجاتها تثبيت قرار الحكم على يد أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي تولى الخلافة بالشورى في واقعة سقيفة بني ساعدة ، بصرف النظر عما قيل وما يقال حول ذلك . فقد روي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قولها : «فلقد نزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها» .

وكانت المعالجة الثانية عزم أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مقاتلة أهل الردة ومانعي الزكاة. برغم اختلاف وجهات نظر الصحابة في ذلك ، وثبات الصديق حول هذه المشكلة السياسية وتقييمه الشرعي للموقف بقوله :

ثبات الصديق في هذه المحنة ورجحان رأيه على آراء الصحابة

(والله لو منعوني عقالا ـ وفي رواية : عناقاً ـ كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه ، ولو خذلني الناس كلهم لجاهدتهم بنفسي ، وقال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة ، وقالوا : أهل القبلة ، فتقلد أبو بكر سيفه وخرج

وحده ، فلم يجدوا بُدًّا من الخروج على أثر[1] اهـ الخميس ٣٠١/ ج٢.

وفي رواية أخرى أن أبا بكر نهر عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عندما عارضه القتال محتجاً بقوله : (كيف نقاتل الناس وقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم؟ فقال أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أليس قد قال بحقها ومن حقها إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، فقال عمر بن الخطاب : فوالله ما هو إلا أن رأيت أن الله قد شرح صدري أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق ، وقال أيضاً : (والله لقد رجح إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة جميعا في قتال أهل الردة ...) .

موقف الصديق وتأصيله من النص ، وهذه هي سنة الخلفاء

وكانت هذه عين المعالجات السياسية المتلاحقة التي رسخ بها الصديق الإسلام وقرار الخلافة الراشدة في هذه المرحلة المضطربة ..

المرحلة حرجة جدا

ولأن هذه المرحلة حرجة كل الحرج سواء من حيثيات الاجتماع على صفة القرار أو على بسط عوامل الاستقرار ؛ فحريٌ بنا أن نتابع المعالجات السياسية الأولى أمام كافة الفتن البارزة في المرحلة . ونقرأها بعين الإنصاف بعيدا عن الإرجاف والإجحاف .. ونقررها كما كانت مجرياتها وما ترتب على هذه المجريات الواعية من ردود فعل إيجابية أيدت الموقف السياسي في ترسيخ الإسلام ولم شعث أتباعه ، أمام الطامعين ، والأعراب الجفاة المارقين ، فقد ورد في

أشراف العرب يعرضون الحماية مقابل المال وهي أول رشوة في الإسلام

---

(١) تاريخ الخميس ٣٠١/ ج٢.

السيرة أن عيينة بن حصن الفزاري والأقرع بن حابس مع رجال من أشراف العرب دخلوا على رجال من المهاجرين فقالوا : إنه قد ارتد عامة من وراءنا عن الإسلام وليس في أنفسهم أن يؤدوا إليكم من أموالكم ما كانوا يؤدون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإن تجعلوا لنا جعلا نرجع فنكفيكم من وراءنا ، فدخل المهاجرون والأنصار على أبي بكر فعرضوا عليه الذي عرضوا عليهم ، وقالوا : نرى أن تطعم الأقرع وعيينة طعمةً يرضيان بها ويكفيانك من وراءهما حتى يرجع إليك أسامة وجيشه ويشتد أمرك الخ ..قال أبو بكر : هل ترون غير ذلك ؟ قالوا : لا ، قال أبو بكر : هل ترون غير ذلك ؟ قالوا : لا ، قال أبو بكر : إنكم قد علمتم أنه كان من عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليكم المشورة فيما لم يمض فيه أمر من نبيكم ولا نزل به الكتاب عليكم ، وإن الله لم يجمعكم على ضلالة ، وإني سأشير عليكم وإنما أنا رجل منكم تنظرون فيما أشرته عليكم وفيما أشرتم به فتجمعون على أرشد ذلك ، فإن الله يوفقكم . أما أنا فأرى أن نشد إلى عدونا فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، وأن لا ترشوا على الإسلام أحد ، وإن تتأسوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنجاهد عدوه كما جاهدهم ، والله لو منعوني عقالا لرأيت أن أجاهدهم عليه حتى آخذه من أهله وأدفعه إلى مستحقيه فاتمروا يرشدكم الله فهذا رأيي ...

نحن لا نتقصى الأسماء ونتتبع القبائل المرتدة فهذا ما قام به أهل السير ، وإنما نرصد المواقف السياسية من كلا الجانبين ونربطها بالفتن المضلة أو بالعصمة منها

فلم يكن للقوم بدٌ أن يروا رأيه ويأخذوا به وكانت الفتنة السياسية الموصوفة بفتنة الردة قد شملت غالب أحياء العرب إلا القليل ،

ولسنا هنا بصدد تقصي أسمائهم وقبائلهم المرتدة فقد تكفل بهذا أهل السير وإنما نحن بصدد إبراز المواقف السياسية من كلا الجانبين وربطها إما بمدلول الفتن المضلة .. أو بالعصمة والحفظ منها .. وقد حفظ الله جملة من العرب عن هذه الفتنة السياسية المضلة ومنهم قبيلة طيء وكان فيهم عدي بن حاتم وكانت عنده إبل عظيمة اجتمعت له من صدقات قومه عندما توفي رسول الله ﷺ ، فلما ارتد من ارتد من الناس وارتجعوا صدقاتهم وارتد بنو أسد وهم جيرانه اجتمعت طي إلى عدي بن حاتم فقالوا : إن هذا الرجل قد مات وقد انتقض الناس بعده وقبض كل قوم ما كان فيهم من صدقاتهم فنحن أحق بأموالنا من شذاذ الناس ، فقال : ألم تعطوا من أنفسكم العهد والميثاق على الوفاء طائعين غير مكرهين ؟ قالوا : بلى ولكن قد حدث ما ترى وقد ترى ما صنع الناس ، فقال ##كلاماً مبسوطاً يشير به إلى ضرورة الوفاء بالعهد ، إلى أن قال : فلا يدعنكم غدر غادر إلى أن تغدروا ، فإن للشيطان قادة عند موت كل نبي يستخف بها أهل الجهل حتى يحملهم على قلائص الفتنة ، وإنما هي عجاجة لا ثبات لها ولا ثبات فيها ، إن لرسول الله ﷺ خليفة من بعده يلي هذا الأمر ، وإن لدين الله أقواماً سينهضون ويقومون به من بعده كما قاموا بعهده ، ولئن فعلتم لينازعنكم على أموالكم ونسائكم بعد قتل عدي وغدركم فأي قوم أنتم عند ذلك .. قال : فلما رأوا منه الجد كفوا عنه وسلموا له .

موقف عدي بن حاتم في التهدئة السياسية وتحليل الفتنة وتثبيت الخلافة الراشدة

وهذا مثال من عشرات الأمثلة التي ذكرتها كتب السير عن مواقف الثابتين أمام فتنة الردة ..

الفتن الثلاث هي مفاصل تاريخية خطيرة في تاريخنا الإسلامي

ومن المعلوم في فقه التحولات أن جملة من الإشارات النبوية قد ذكرت فتنة الردة وما شاكلها من فتن المواقف بعد موته ﷺ ، فمنها حديث : «اعدد ستاً.. وقال : موتي ..» ، وفي الحديث الآخر : «من نجا من ثلاث فقد نجا ، موتي، وقتل خليفة مصطبر ، والدجال» . وما هذه الثلاث إلا فتن مضلة خطيرة في تاريخ الأمة الإسلامية[1] .

فالأولى : موته ﷺ .. فمن نجا من ثائرة الفتن المضلة التي تبرز بعد هذه الحادثة فقد نجا ، ومن الفتن التي برزت في هذه المرحلة :

١-فتنة الكتاب الذي كان رسول الله ﷺ يود كتابته قبيل موته وما جرى من اللغط في مجلسه ﷺ ثم قال قوموا عني .

٢-فتنة الاختلاف حول موته وثبات أبي بكر الصديق وتلاوة الآية في المسجد .

٣-فتنة التحريش حول مسألة البيعة في سقيفة بني ساعدة .

٤-فتنة القول بامتناع الإمام علي عن البيعة ، وما ترتب على ذلك .

٥-فتنة الاختلاف حول ميراث أهل البيت في فدك وغيرها .

---

(١) قولنا في تاريخ الأمة الإسلامية : باعتبار أن هذه الفتنة أثرت على كتابة التاريخ سلباً وإيجاباً إلى اليوم وما بعد اليوم ، وباعتبار ما أثمرته التعصبات السياسية حول هذه الحيصات المشار إليها ...

٦-فتنة الردة .

٧-فتنة مسألة الاستخلاف بالوصية أم بالشورى ، وما ترتب عليها لدى مدارس المسلمين فيما بعد .

الفتن الثلاث ترتب عليها مواقف ثلاث

ولأن هذه الفتن فتن مضلة فالمرء المسلم بين واحد من ثلاث مواقف :

١-الاعتصام بالسكوت عما جرى واعتبار الأمر اجتهادا أصاب فيه من أصاب فله أجران وأخطأ فيه من أخطأ فله أجر ..وقبول ما أجمع عليه الصحابة العدول وهم في مواقفهم خير قدوة بعد رسول الله ﷺ .

٢-قراءة الأمر من جذوره بواقع النصوص ومن أهمها قراءة نصوص فقه التحولات الخاص بجملة المتغيرات .. يميز الحق من الباطل على بينة ، ومن غير إفراط ولا تفريط .

٣-الوقوع فيما وقع فيه أهل الإفراط والتفريط من الغمز والهمز واللمز واللعن والتكفير وما شاكل ذلك من المواقف المفتونة التي أصابت العديد من المسلمين واتخذ المتعصبون فيها مواقف ذات خطورة بالغة في الدنيا والآخرة جعلت الإسلام والإيمان والإحسان ديناً وعلماً ملوثاً بالذم والدم .. إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا ..

وخلاصة القول . أن الفتنة السياسية الأولى بعد موت النبي ﷺ كانت من أخطر الفتن المضلة في عدة نواح واتجاهات ..

وقد ترتب على إخمادها الحاسم ، وإجراءات الصديق العملية

جملة من المواقف المستجدة لدى المفتونين من نماذج العرب واليهود وغيرهم . ومنها:

١-مواقف الأعراب الذين حاربهم الصديق وأجبرهم على العود إلى حظيرة الالتزام للإسلام وأحكامه .

٢-مواقف العرب الذين ادعوا النبوة الكاذبة كمسيلمة وطليحة وغيرهم وما أدى جهادهم وقتالهم من آثار نفسية ومداومة نفاقية مبطنة ضد الإسلام وشخوصه ..

٣-موقف المدرسة النفاقية بالمدينة المنورة وظهور أتباعها في أكثر من موقف وصورة على صفة الضدية والمنافسة وإثارة التحريش بين المسلمين ..

ومع هذا وذاك فقد ارتفعت راية الإسلام خفاقة بدولة الخلافة الراشدة ، وكان أساسها المتين وقاعدتها الجلية :

١-اجتماع أهل الحل والعقد على خلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

٢-إسناد الإمام علي وآل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لقرار الخلافة والمشاركة فيه دون تجريد سيف ولا تجييش معارضة .

٣-نجاح القرارت الصديقية أمام الفتن السياسية المضلة ، وقطع دابرها السياسي المعارض بتماسك الصحابة وتقديرهم لمواقف بعضهم البعض .

٤-ظهور هيبة دولة الإسلام الأولى باجتماع الكلمة وسلامة الرأي ورفع راية الجهاد في سبيل الله ، ويبدو ذلك جليا منذ خروج

الخليفة أبي بكر من المدينة إلى بقعاء مستنفرا الناس لقتال أهل الردة ومكثه بها أياما ، فجعل عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يكلمانه في الرجوع إلى المدينة لما رأيا من عزمه على المسير بنفسه ، وقد توافق المسلمون وحشدوا فلم يبق أحد من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من المهاجرين والأنصار من أهل بدر إلا خرج .. ولهذا قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ارجع يا خليفة رسول الله تكن للمسلمين فئة وردفا فإنك إن تقتل يرتد الناس ويعلوا الباطل على الحق ، وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان مظهرا المسير بنفسه أهـ الخميس ٣٠٤/ ج٢ .

وهذه المواقف أجلى صورة من صور قوة القرار ساعة الحرج وأشرف سياسة إيجابية تجمع القلوب والعقول والمبادرة والاتجاهات .. فرضي الله عن أبي بكر الصديق وعن بقية أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(مقتل عمر) - الفتنة السياسية الثانية
علامة وسطى

ولهذا يمكن أن نسمي هذه المرحلة بمرحلة اختراق الفتنة السياسية الخارجية في الأمة المحمدية وهي: " مقتل سيدنا عمر بن الخطاب" رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، كما ورد في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم بسنديهما إلى أبي وائل شقيق بن سلمة، قال سمعت حذيفة يقول: بينا نحن جلوس عند عمر، إذ قال: أيكم يحفظ قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الفتنة؟ قال: «**فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره يكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**». قال: ليس عن هذا أسألك، ولكن التي تموج كموج البحر.. قال: «**ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها باباً مغلقاً**» قال عمر: أيكسر الباب أم يفتح؟ قال: «**بل يكسر**» قال عمر: إذاً لا يغلق أبداً. قلت: أجل. قلنا لحذيفة: أكان عمر يعلم الباب؟ قال: «**نعم، كما يعلم أن دون غدٍ ليلة، وذلك أني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط. فهبنا أن نسأله من الباب؟ فأَمَرْنا مسروقاً فسأله فقال: من الباب؟ قال: عمر**»[1]

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٠٩٦) .

وليس ببعيد إذا صح الاستنتاج أن يظل باب الفتنة في مراحلنا الأخيرة على ما كان من معنى «بينك وبينها باباً مغلقاً» وإذا ما عادت الفتنة مرة أخرى

بمقتل سيدنا عمر فتحت الفتن القادمة على الأمة

والمشار هنا بالفتنة إلى «الفتنة السياسية» وهي التي وُصفت بأنها تموج موج البحر، أي تضطرب وتدفع بعضها بعضاً. وشُبِّهت بموج البحر لشدة عظمها وكثرة شيوعها، ولا يمكن الوقوف أمامها.. وقد كان الصحابة يعلمون أمرها وأثرها.. فهذا خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسمع رجلاً يقول له في عهد خلافة عمر: «يا أبا سليمان اتق الله فإن الفتن قد ظهرت» فردَّ عليه مستنكراً بقوله: «**وابنُ الخطاب حي! إنما تكون بعده، والناس بِذِي بِلِّيَانٍ....الخ**»[1]، وحديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**لا تصيبكم فتنة ما دام هذا فيكم وأشار إلى عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه لقي عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأخذ بيده فغمزها، وكان عمر رجلاً شديداً، فقال: أرسل يدي يا قفل الفتنة، فقال عمر: وما قفل الفتنة؟ قال جئت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذات يوم ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جالس، وقد اجتمع عليه الناس، فجلست في آخرهم، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**لا تصيبكم فتنة ما دام هذا فيكم**» المعجم الأوسط للطبراني برقم (١٩٤٥) وحديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**ما بينكم وبين أن يرسل عليكم الشر فراسخ**

فكسر باب الأدب والحصانة أن لا يغلق أبدا. فالباب الذي تترس به الأمة اليوم وتستظل بمخرجاته ما أجمعت عليه الأمة من منهج أهل السنة والجماعة بصرف النظر عن أهل السياسة والإفراط والتفريط فهؤلاء بلية الأمم في كل مذهب وفي كل زمان.

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٩٠) وغيره بسند جيد.

إلا موت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» ا.هـ مصنف ابن أبي شيبة (٣٨٤٤٥) عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**ما بينكم وبين أن يرسل عليكم الشر فراسخ إلا موتة في عنق رجل يموتها وهو عمر**» مصنف ابن أبي شيبة برقم (٣٧٢٩٠).

مرحلة أبي بكر وعمر كانت خالية من الفتنة السياسية وخالية من فساد قرار الحكم والعلم

والمستنتج من هذه الأحاديث – أن مرحلة أبي بكر ومرحلة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا خالية من "الفتنة السياسية" لعدم الخروج فيها بالسلاح ضد حامل القرار أو منازعته فيه. كما أنها لم ترد في فقه التحولات أحاديث تشير إلى فساد في قرار الحكم أو قرار العلم في صدر الخلافة الراشدة. كما أن مقتل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان مؤامرة خارجية بكل المقاييس.. أي لم يشترك فيها عنصر من عناصر الصحابة الأثبات، وإنما ثارت لقتله نفوس أصحاب العصبيات القومية الذين تبرموا من جراء فتح المسلمين لبلادهم وهم الملك الهُرْمزَان صاحب القومية الفارسية وهو سيد من سادات الفرس، فقد سلطانه ومكانه وجيء به إلى المدينة أسيراً ومعه فيروز المجوسي المعروف بأبي لؤلؤة قاتل عمر. والثاني صاحب القومية النصرانية جفينة الذي كان نصرانياً من أهل الحيرة يعلِّم الكتابة لأهل المدينة، والثالث صاحب القومية اليهودية – كعب الأحبار– وكان مسلماً وقد ثبت في كتب السيرة تحريض هؤلاء الثلاثة أبا لؤلؤة المجوسي على قتل أمير المؤمنين في قصة أوردناها في كتابنا « التليد والطارف» صـ ١٨٠ – ١٨٢.

قتل سيدنا عمر مؤامرة خارجية مشتركة حرضوا فيها أبالؤلؤة المجوسي لقتله

وخلاصتها كما جاء في تاريخ الخميس (٢/ ٢٧٣) ما مثاله «رأى

عبد الرحمن بن أبي بكر أبا لؤلؤة المجوسي والهرمزان وجفينة يدخلون في مكان يتشاورون فيه وبينهم خنجر له مقبض في وسطه ، فقتل عمر في صبيحة تلك الليلة ، فاستدعى سيدنا عثمان عبد الرحمن ابن أبي بكر فسأله عن ذلك فقال انظروا إلى السكين فإذا كان ذا طرقة فلا أرى القوم إلا قد اجتمعوا على قتله ، فنظروا فوجدوها كما وصف عبد الرحمن» اهـ ، وورد أيضاً أن كعب الأحبار أنذر سيدنا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله: (اِعلم أنك ميت في ثلاثة أيام) ولم يُعِر سيدنا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا الإنذار عناية خاصة ، وفي رواية أنه لما كان من الغد الذي توعد فيه أبو لؤلؤة المجوسي أمير المؤمنين جاءه كعب الأحبار فقال يا أمير المؤمنين اعهد فإنك ميت في ثلاثة أيام قال: وما يدريك؟ قال أجده في كتاب الله التوراة ، فقال عمر: آلله إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟قال اللهم لا ولكن أجد صفتك وحليتك ، وبأنه قد فني أجلك ، وعمر لا يحس وجعا ولا ألما ، فقال عمر: رضينا بقضاء الله وقدره ، فلما أصيب تذكر قول كعب فقال: وكان أمر الله قدراً مقدورا ، فلما كان الغد جاءه كعب فقال يا أمير المؤمنين ذهب يوم وبقي يومان ، ثم جاءه بعد الغد فقال ذهب يومان وبقي يوم وليلة ، وهي لك إلى صبحها[1] .

قاتل سيدنا عمر لم يسجد لله سجدة واحدة

ولما طعن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غشي عليه فلما أفاق دعا بوضوء فتوضأ ثم صلى وقال : من قتلني؟ قالوا : أبا لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن

(١) تاريخ الخميس ص (٢/ ٢٤٨)

شعبة فقال: الحمد لله الذي لم يجعل قاتلي يحاججني عند الله بسجدة سجدها له قط .

ويبدو أن هذه الفتن المضلة لا تقف عند مستوى مرحلتها التي جرت فيها وقائعها التاريخية ، وإنما تتعداها لتصبح إحدى قضايا التاريخ المتنازع عليها والمختلف في شأنها .. ولولا النصوص الضابطة لعدالة المراحل والشخوص ، والنصوص القادحة في المراحل والشخوص ؛ لادعى قومٌ من مرحلة الغثاء السلامةَ وطعنوا في مراحل العدالة والحصانة .. وهذا ما نشهده ونسمعه في جملة من متقولي الفتنة المتسببين لفقه الحوادث اللاعنين بعض الصحابة والمكفرين البعض الآخر ، اعتمادا على ما نسجته التواريخ والآثار خلال مرحلة الصراع على القرار والاختلاف في شأن الجدارة به ، وقد تحولت الفتنة إلى فقه سياسي يتوارثه الأقماع والأشياع ، وتستقيم عليه ومن أجله عندهم قضايا الولاء في الدين وقضايا الانتماء إلى الإسلام وسلامة العقيدة .

من الفتن المضلة ما نسمعه ونشهده من الطعن في مراحل العدالة والحصانة، والادعاء بالسلامة في مرحلة الغثاء

والمتأمل هنا بروية في (دراسة المتغيرات) يجد من الثبات والبيان في هذه المسائل ما لا يجده في غيرها من الدراسات والبحوث المعينة على النظر في الحوادث ومجريات الأخبار التاريخية المجردة ..

دراسة المتغيرات فيها من الثبات والبيان مالا يوجد في غيرها من الدراسات والبحوث

لقد أشار النبي ﷺ إلى مرحلة الخليفة ابن الخطاب وأنه الباب بين الأمة وبين الفتنة ، وكأني بالمعنى النصي يمتد إلى عصرنا وما يليه إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا ..فالذين يقدحون في إسلام

فتنة الباب الذي يكسر ولا يفتح تمتد إلى زماننا حيث يظل المفتونون يلجؤون إلى نقض الإسلام والإيمان والإحسان من ثغرة التناول لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وصحبة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويطلقون ألفاظ السخرية والتهكم على أمة القرآن والسنة باعتبار من يترضى عن الخلفاء ويطلق لفظ (العصابة العمرية) تهكماً ويجاهر باللعن وتهمة إلصاق الطاغوتية للمبشرين بالجنة .. ويتخذ من المواقف الطبعية ما لم ينزل به الله من سلطان .. فإنما هي صورة حقيقية لمفهوم فتنة الباب الذي يكسر ولا يفتح .. حيث يظل المفتونون يلجون إلى نقض الإسلام والإيمان والإحسان من ثغرة التناول لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه .. وتناول غيره من العدول الأثبات ، ومنهم من يدرك خطورة فعله ولكنه مقتنع به ، ومنهم مستغفل مخدوع غرر به ، وكلا الطرفين غافل عن دراسة نصوص فقه التحولات الخاص بفقه الفتن ومضلاتها ، ويزداد الأمر خطورة عندما يكون المبادر لهذه الفتنة ممن ينتمي لآل البيت النبوي أولإحدى مدارسهم وهو لا يعلم أنه في فتنة ، بل يعتقد أنه في نصرة الدين ونصرة المظلومين من آل بيت سيد المرسلين وهو غارق في فهوم المتخبطين ومندفع بعاطفته في أعراض الصحابة والتابعين .
فهل بعد هذه الفتنة من فتنة .؟ نسأل الله العافية والسلامة .

الفتنة السياسية الثالثة - (مقتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ)
(أم الحيصات والفتن المضلة)
(علامة وسطى)

وقصة مقتله وأسبابها معلومة في كتب السِّيَرِ والتاريخ ونثبت نحن هنا ما يخص مفهوم (الفتنة وعلاقتها بالمسيخ الدجال) بصرف النظر عن طول التعليل وشمول التحليل لأخطاء الخليفة أو تساهله في أمر الحكم والتَّوْلِيَة كما يصف ذلك المؤرخون. فالخليفة الثالث صحابي جليل وحامل حصانة شرعية من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نالها بالاستحقاق والجدارة، فهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وشهد غزوة بدر وغيرها من الغزوات ومن السابقين للإسلام، وفيه يقول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعد أن جهز جيش العسرة: «**ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم**»[1]، حصانته الذاتية تأتي من مناقبه التي حازها على عهد مصاحبته لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كما أن حصانة قراره (أي: حصانته السياسية) في مرحلة خلافته مصانة بنصوص فقه التحولات، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: وعثمان إذ ذاك محصور بمكة عام عمرة القضاء - سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إنها ستكون فتنة واختلاف**

(١) رواه الترمذي برقم (٣٧٠١).

أو اختلاف وفتنة» قال: قلنا يارسول الله ، فما تأمرنا؟ قال: «**عليكم بالأمير وأصحابه**» وأشار إلى عثمان[١]. وعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ لعثمان: «**إن الله مقمصك قميصاً**» أي موليك الخلافة «**فإذا أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه**»[٢] ، وعن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ: «**يا عثمان إنك ستبوء الخلافة بعدي ، وسيريدك المنافقون على خلعها فلا تخلعها ، وصم في ذلك اليوم تفطر عندي..**»[٣].

الأحاديث دالة على سلامة قرار سيدنا عثمان السياسي وفساد موقف المعارضين له

وهذه الأحاديث دالة على سلامة القرار السياسي لعثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، ولفساد موقف المعارضين له برغم شعورهم بعدالة قضيتهم ، ولعل الفساد مرتبط بوسيلة المطالبة لا بموضوعها ، إلاّ أن الحكم الصادر من لسان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ على من أراد له الخلع بالنفاق ، مسألة أوسع من تصور العقل المسلم القارئ للأحداث والشعور بسلامة التصور ، وهنا تكمن أهمية (النصوص) في فقه التحولات.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك برقم (٤٥٤١) والبيهقي في دلائل النبوة برقم (٦٠٨٢) والطبراني في المعجم الأوسط برقم (٩٤٥٧) وفي الاعتقاد (١/ ٣٦٧).

(٢) رواه أحمد في فضائل الصحابة برقم (٨١٥) والطبراني في المعجم الكبير برقم (٥٠٦١) والحاكم في المستدرك برقم (٤٥٤٤) بروايات متقاربة في اللفظ.

(٣) رواه بن عدي في الكامل برقم (٥٩٠) وابن عساكر في تاريخ دمشق برقم (٨٠١٢).

والأمر الأكثر خطراً في المسألة أمر الربط بين مقتل عثمان وفتنة المسيخ الدجال، وهنا مربط الفرس في كشف الوحي لحقائق المواقف وجعل الفتنة شاملة وواسعة المدى تخرج من دائرة المطالبة بالحق من جهة وظلم الظالم من جهة أخرى إلى إدانة الدوافع والمسببات النفسية للخروج ذاته، وإلى ذلك أشار المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «**أول الفتن قتل عثمان وآخرها خروج الدجال، والذي نفسي بيده ما من رجل في قلبه مثقال حبة من حُبِّ قتل عثمان إلا تبع الدجال إن أدركه، وإن لم يدركه آمن به في قبره**»[1] وتربط أحاديث فقه التحولات بين الدجال القادم وبين مسببات الانحرافات المتراكمة في القرار السياسي المتتابع، ويحصرها في عناصر التسييس ورموزه في «الحكم والعلم» بقوله: «**لغير الدجال أخوفني على أمتي**» (قالها ثلاثاً) قال: قلت: يا رسول الله ما هذا الذي غير الدجال أخوفك على أمتك؟ قال: «**الأئمة المضلون**»[2]، والأئمة المضلون هم ساسة الحكم والعلم الواضعون بصمات الانحراف والمهيئون أسبابه في المجتمعات، والراسمون سياسة الدجل والنقض والقبض في مراتب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والإعلامية والثقافية والتربوية والتعليمية والعقدية .. الخ إما بسوء الفهم وتعسف النصوص، وإما بالتَّأَثُّر

الأئمة المضلون هم ساسة الحكم والعلم الذين خاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أمته منهم أكثر من الدجال

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٩/ ص ٤٤٧).

(٢) مسند أحمد برقم (٢١٢٩٦)، وفي مسند أبي يعلى برقم (٤٦٦) بلفظ: «غير الدجال أخوف عندي عليكم من الدجال أئمة مضلون».

المباشر ببرامج الكفر والجاهلية والعمل على حقن الشعوب بجهلها وأمراضها وثقافاتها.

مقتل الخليفة الثاني تحول إلى علة دجالية في نفوس القتلة ومن أيد موقفهم السياسي

فالمواقف السياسية الناتجة عن مسببات مقتل الخليفة الثاني تحولت إلى علة دجالية في نفوس القتلة ومن أيد موقفهم السياسي. برغم ما نستشعره من عدالة المطالبين بالحق المسلوب ، فالمطالبة شيء ، والقتل لحامل القرار شيء آخر .

القارئ المتعجل والمندفع المستعجل لا يدرك المسائل الدقيقة

وهنا مسألة دقيقة وهامة جداً لا يدركها القارئ المتعجل ، ولا المندفع المستعجل ، ترفع مستوى حصانة حامل القرار في ساعة حصول الفتن ، لأهمية بقاء القرار فيه ، لا لأهمية الذات وحدها. فالخليفة الرابع كان أكثر عدداً وعدة واجتماعاً لأسباب العدل والأخذ به من سابقه.. ولكن الفتنة التي عصفت بالقرار الأول ، مهدت أيضاً لمقتل حامل القرار الجديد وهكذا دواليك ، وتبدأ المشكلة في التراكم ودون حلول.

قضية النقض سياسة الشيطان ومطية الفتنة

إنها قضية (النقض)، والنقض سياسة الشيطان ، ومطية الفتنة ، ووسيلة التحول وهزيمة الشعوب وسبب فشلها المستديم[1].

---

(١) فالذين طالبوا بدم عثمان وأقاموا عقيرة الحرب وامتنعوا عن البيعة للإمام علي أمام ما اعتقدوه مطالبة بحق ونصرة لمظلوم عجزوا أن يفعلوا شيئا بعد ذلك ، ولم يأخذوا بدم عثمان بل غرقوا في دماء أخرى زادت الطين بلة ، والإشكال علة ، فلا هم حققوا مطلبهم ولا هم رضوا بإمامة العدول كي يقيمون العدل بما ارتأوه واجتهدوه .. بل حقق الجميع مطلبا آخر هو

الفتنة السياسية الرابعة

(تجاذب القوى في مرحلة خلافة الإمام علي ابن أبي طالب)

(علامة وسطى)

كانت أول نصوص الحصانة النبوية للمواقف السديدة في سياسة الإمام علي ابن طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكرم الله وجهه خلال مرحلة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ورضاه من قيادته الشرعية قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في حديث الفتنة المتمثلة رجلاً ثم أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بقتله فذهب أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ولما ذهب الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ له: «**أنت صاحبه إن وجدته**»[1] ، ولكنه لم يدرك الرجل بل وجده قد خرج ، وفي هذا القول دلالة على ما عرفناه هنا بالفتنة السياسية التي جاء علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد استفحل أمرها ، وقد كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المراحل الثلاث للخلافة عضداً ونصيراً وحاملاً طرفاً من أطراف المهمة القيادية للأمة باستحقاق متميز وباعتراف الجميع ، مدركاً شرف المناقب

مطلب الشيطان الرجيم في ساحة قراري الحكم والعلم وتكتل الشعوب فيما لم ينزل به الله من سلطان .

(١) مسند أبي يعلى برقم (٣٦٦٨). وفي نوادر الأصول (١/ ٢٢٢) ، وتعظيم قدر الصلاة قال علي أنا ، قال: «أنت إن أدركته» برقم (٣٣٠)

النصوص النبوية عن المجريات والمواقف هي سبب السلامة للقوى المتعارضة ساعة الحسم الأخير أكثر من المواقف الاجتهادية الذاتية التي فرضتها الحوادث

لذاته وشرف مناقب إخوانه من الصحابة السابقين ، وقد استعاذ الفاروق من معضلة ليس لها أبو الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وكان توليه الخلافة في مرحلة صعبة المعالجة لتشعب أطراف الفتنة بين القوى المتعارضة (داخل خيمة الحصانة أولاً) ، وهم الذين حذرهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من حصولها فيهم ، وأثرها عليهم بصرف النظر عن الحوادث الجارية وسلامة تصورهم لما اتخذوه حيالها من مواقف اجتهادية مشروعة ، وكانت النصوص النبوية عن المجريات والمواقف هي سبب السلامة للقوى المتعارضة ساعة الحسم الأخير أكثر من المواقف الاجتهادية الذاتية التي فرضتها الحوادث ، وهذا مفصل هام في أهمية علم فقه نصوص التحولات ، إذْ بسط النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فيها فتنة السياسة ومن صاحب الحق فيها عند اختلاف الفهوم لدى العدول كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**إنها ستكون فتنة واختلاف أو اختلاف وفتنة**» قالوا : مرنا يا رسول الله قال: «**عليكم بالأمير وأصحابه وأشار إلى عثمان**»[1] وهنا تكمن أهمية نصوص التحولات أمام نصوص المناقب ، ولنضرب مثالاً لذلك .. موقع عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كزوجة له ، وموقع الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كأخ له وزوج لابنته وحظوة كل منهما في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وقد جاء في الحديث عن أبي نافع أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «**إنه سيكون بينك وبين عائشة أمرٌ**» قال : أنا يا رسول الله؟ قال نعم قال: إذن أنا أشقاهم يا رسول الله قال :

(١) سبق تخريجه .

«لا ولكن إذا كان ذلك فارْدُدْهَا إلى مأمنها»[1] .

الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أعاد أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إلى مأمنها معززة مكرمة في فتنة الجمل

ولما جرت أحداث الفتنة المعروفة بفتنة الجمل فعل الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بأم المؤمنين ما أمره به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وأعادها إلى مأمنها معززة مكرمة واعتذر لها واعتذرت له وترتب على هذه المواقف المرتبطة بالنصوص سلامة أهل الحصانة من فتنة السياسة والأخذ بظواهر الأحداث كما ثبت في الحديث عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لنسائه : «**ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدبَبْ ، تنبحها كلاب حوأب ، يقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثير ، ثم تنجو بعد ما كادت**»[2] .

وهذا النص النبوي يصف الحادثة كما وقعت قبل وقوعها ، ولما كانت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا راكبة على الجمل في طريقها إلى العراق ، وبلغت إلى ذلك الموقع المشار إليه في الحديث بنبح الكلاب ، سألت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا من حولها عن المكان فقالوا: «ماء الحوأب» فبطل اجتهادها في سلامة موقفها وظهر نص فقه التحولات مرجحاً عودتها فقالت : ردوني ردوني وأوقفت القوم ، وهنا تأتي(فتنة السياسة) من خارج

---

(١) مسند أحمد برقم (٢٧١٩٨)و وفي مسند البزار برقم (٣٨٨١) «أنه سيكون بينك وبين عائشة شيء» قال: يا رسول الله أنا؟ قال : «نعم» قال:أنا من بين أصحابي؟ قال: «نعم» قال: فأنا أشقاهم ، قال: «لا قال فإذا كان ذلك فردها إلى مأمنها»

(٢) مسند البزار برقم (٤٧٧٧) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ورجاله ثقات.

تبين بطلان اجتهاد أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بنبح الكلاب في مكان يسمى ماء الحوأب ولكن فتنة السياسة التي أتت من خارج دائرة الحصانة جعلتها تسير معهم إلى نهاية المطاف

دائرة الحصانة ، إذْ جاء قائد الركب وهو يومئذ مروان بن الحكم على رواية فكذّب قول من قال إنه ماء الحوأب فشكّت في الأمر لعلمها بفساد الحصانة لدى الرجل فجاء بأربعين رجلاً يحلفون بالله أن الماء ليس ماء الحوأب[1] ، فما كان منها إلا أن صدقتهم وسارت معهم إلى نهاية المطاف ، وكان بعد ذلك ما كان من موقف الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وإعادتها إلى مكمنها ، ومثل ذلك ما وقع لكل من الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فقد أصابتهما فتنة الخروج مع حصانتهما كذوات في نصوص المناقب ، وساعة المواجهة ذكّر الإمام علي الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بما أخبره به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من المواجهة المستقبلية وأن الحق مع الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فكان النص النبوي (في تلك الساعة) سبباً في سقوط الرأي الاجتهادي في الخروج بصرف النظر عما جرى لهما بعد ذلك من القتل الذي نالا به الشهادة والموت على الإسلام على نموذجين ارتبطا بنص فقه التحولات :

مقتل الزبير وطلحة بن عبيدالله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ارتبط بنموذجين منصوص عليهما في فقه التحولات

الأول: مقتل الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على يد أحد الخوارج الموالين للإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقد جاء مبشراً بقتله فغضب الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقال له (أنت في النار) فقال إن قاتلنا معكم ففي النار وإن قاتلناكم ففي النار فأعاده الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى النص الضابط للفعل والحادثة

---

(١) وفي رواية أخرى : أن الذي دعاها للاستمرار الزبير بن العوام وقال لها لعل الله يصلح بك بين المسلمين نظرا منه للحالة الكائنة وحاجة الناس لموقفها .

وقال: قال رسول الله ﷺ: «**بشر قاتل ابن صفية بالنار**»[1] وقتله الإمام علي قصاصاً بالزبير[2] .

الثاني: مقتل طلحة بن عبيد الله ، وقد اختلف الرواة في قصة مقتله ، فقيل : إنه أصابه سهم غرب (أي الذي لم يعرف مصدره) ، وقيل: رماه مروان بن الحكم فأصابه فسقط طلحة وأُغمي عليه فلما أفاق نظر إلى الدم يسيل منه فقال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[البقرة:١٥٦] ، أظن والله أنا عُنينا بهذه الآية من كتاب الله عز وجل إذْ يقول: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥﴾ [الأنفال:٢٥] ، وقال : والله ما رأيت كاليوم قط دم قرشي أضيع من دمي ، وما أظن هذا السهم إلا سهما أرسله الله وكان أمر الله قدراً مقدورا[3] .

الصحابة يستدركون نصوص فقه التحولات عند وقوع الحوادث

والذي نحن بصدده هنا مواقع نصوص فقه التحولات المستدركة من أولئك الصحابة عند وقوع الحوادث ، فطلحة بن عبيد الله استدرك معنى الآية وعبّر عن فهمه في مطابقتها للواقع ، والزبير بن العوام استدرك الإشارة من الحديث النبوي فخرج عن الجيش وترك القتال.

---

(١) مسند أحمد برقم (٦٨١) والطبراني في المعجم الأوسط برقم (٢٤٣) والحاكم في المستدرك برقم (٥٥٨٠).

(٢) مسند أحمد (٦٩٢) نقل مختصرا بمعناه .

(٣) الفتوح لابن أبي الأعثم الكوفي (٤٧٨/ ٤٧٩) .

أصل ما نحن بصدده هو أثر نصوص فقه التحولات في تغيير المواقف

وبصرف النظر عن اختلاف الروايات وحال أصحابها وميولهم وتوجهاتهم . فأصل ما نحن بصدده هو أثر نصوص فقه التحولات في تغيير المواقف .. وإذا لم يتغير بها موقف فرد أو فريق لسبب وآخر فبها تقوم الحجة على المنكر لها أو المحرِّف لمعاني نصها كما هو في مقولة النبي ﷺ : «عمار تقتله الفئة الباغية» ، «بشر قاتل ابن صفية بالنار» .. وغير ذلك من النصوص الخاصة بالفتن والابتلاءات السياسية .

الفتنة الخامسة
الفتنة السياسية مع جند الشام ومضاعفاتها
(علامة وسطى)

كنا قد عرفنا من نصوص فقه التحولات سلامة المبدأ الشرعي الذي ينطلق منه الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أمام كافة الأجنحة المتحركة في مرحلة خلافته ، وكانت خلافته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أشبه ما تكون (بموقف إنقاذ ما يمكن إنقاذه) من براثن الفتنة الهالكة الهاتكة بمقتل عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وقَبِلَهَا ـ أي : الخلافة ـ على مضض وحذر.

المرحلة التي عاصرها الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرحلة تتحكم في موقفها وعقولها مجريات الأحداث

فالعقول التي يعاصرها في هذه المرحلة تتحكم في موقفها وعقولها مجريات الأحداث ، ولا تخضع لثوابت النصوص ، والإمام الغالب يخضع المرحلة وما فيها من أحداث لنصوص المتغيرات وفقه التحولات المتلقى من لسان من لا ينطق عن الهوى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، ولهذا بدأ منذ أخذ البيعة من الناس يعمل على قراءة المحيط ومن فيه وفق قاموس الرسالة لأنه يعلم قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**قم يا علي ، أنت صاحبه**

إن وجدتَه»[1] .

أول مشاكل القرار اصطدام حامله بكتل المصابين بدءاً بالفتنة السياسية والمستفيدين منها

وأغلب القوم قد استمرؤوا الحالة الكائنة وقبلوا ما صنعته الحوادث وركبته الأسباب السياسية ، فكانت أول مشاكل القرار اصطدام حامله بكتل المصابين بدءاً بالفتنة السياسية ، والمستفيدين منها ، وخاصة ممن كان له موقع في القرار السياسي السابق ، أو ممن له دور في مقتل الخليفة الثالث: أتباع المدرسة السبئية في أمصار الإسلام ومنها مصر والعراق ، وجملة من غوغاء أهل الأمصار ونزّاع القبائل ممن قال فيهم الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعد مقتل عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (يا أيها الناس أخرجوا الأعراب عنكم) ، وقال: (يا معشر الأعراب الحقوا بمياهكم قال : فأبت السبئية الطاعة وأطاعهم الأعراب)[2].

بل وبلغ الأمر في هذا الظرف العصيب قبيل بيعة الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن قال: (الثوار) لأهل المدينة : دونكم يا أهل المدينة ، فقد أجَّلناكم يومين ، فو الله لئن لم تفرغوا ، لنقتلن غداً علياً وطلحة والزبير وأناساً كثيرين ، فأتى الناس علياً فقالوا: نبايعك فقد ترى ما نزل بالإسلام وما ابْتُلينا به ، فقال علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دعوني والتمسوا غيري ، فإنا مستقبلون أمراً له وجوه ، وله ألوان لا تقوم له القلوب ، ولا تثبت عليه عقول ، فقالوا : ننشدك الله ألا ترى ما نرى؟ألا

(١) مسند أبي يعلى برقم (٣٦٦٨) ، وفي رواية : «قم أنت يا علي فاقتله أنت صاحبه إن وجدته» حلية الأولياء (٣/ ٢٢٦)

(٢) تاريخ الطبري (٣/ ٤٥٨-٤٥٩).

ترى الإسلام؟ ألا ترى الفتنة؟ ألا تخاف الله؟ قال: (قد أجبتكم لما أرى واعلموا أني سأعمل بكم كما أعلم ،[1] أما إذا تركتموني فإنما أنا أحدكم ، ألا إني أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم) ، ثم افترقوا على أن يبايعوه بعد تشاورهم مع غيرهم من عناصر الثورة والحركة السياسية.

وبمجرد المبايعة وتمامها تدخل السبئيون وجاءوا إلى الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقالوا : (إنا قد اشترطنا إقامة الحدود وأن هؤلاء [الثوار] قد اشتركوا في دم هذا الرجل (عثمان) فأحلوا عقابهم ، فرد الإمام : (إني لست أجهل ما تعلمون ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم... الخ ما قال) ، راجع الطبري(٤٥٨٣).

بعض القضايا التي واجهت الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أول خلافته

وواجهت الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أول شؤون خلافته جملة من القضايا المعقدة ومنها :

١) مطالب السبئية ومن نحا نحوهم بإقامة الحدود على قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢) اختلاف وجهات نظر أكابر الصحابة حول الأخذ بالثأر ، أو ترك الأمر حتى يستتب شأن الخلافة.

---

(١) وهذه جملة للإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عين فيها اشتراطه لحمل أمانة الخلافة ، وتأكيد لما وصفه به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أنت صاحبه إن وجدته » وكان هذا العلم الذي يعلمه ، وأراد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يقوم بأسبابه مما سبب الاصطدام مع عناصر فتنة السياسة المتفاقمة في المرحلة.

٣) التزام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بشرطه في العمل فيهم بما يعلم من العلم ، ومنه قراره في عزل جملة من القادة والأمراء ، ومنهم معاوية بن أبي سفيان ، (واختلاف القوم حول ذلك) ، وإشارة بعضهم عليه بالتريث في الأمر ، وإصراره على المضي فيما عزم عليه .

منهج فقه التحولات مضبوط بالنصوص وهي قسمان : قسم نبوي ، وقسم أبوي

وقد أكثر المؤرخون في وصف الأحداث وتعليلها ، وتناولها من كافة الوجوه بحق وباطل ، وليس هنا في سردنا مطلب لذلك لأن منهج فقه التحولات الانضباط بالنصوص وهي قسمان :

- قسم نبوي : وهو أحاديث العلم بالفتن وعلامات الساعة .
- قسم أبوي : وهو منطوقات الصحابة العدول ، وأئمة آل البيت والتابعين.

وكلا القسمين يرضخان للتقييم من حيث الصحة والحسن والضعف في الرواية ، وأما أقوال الكتل الأخرى وما روي عن أصحاب الفتنة ونزَّاع القبائل فأمر اعتنى به حملة الأقلام المعتمدين على سرد وقائع التاريخ وحوادثه ولسنا بصدد ذلك .

من حيصات الفتن المضلة في تاريخ الإسلام الفتنة مع جند الشام ومضاعفاتها

وموضوعنا هنا في هذه الفقرة هي(الفتنة مع جند الشام ومضاعفاتها)، وهي إحدى حيصات الفتن المضلة في تاريخ الأمة الإسلامية ، حيث كانت هذه الفتنة لاحقة لفتنة الجمل وما ترتب عليها ، وتمهيداً (لفتنة معركة صفين وما ترتب عليها) ، وكلها تندرج في فقه التحولات تحت مسمى (الفتنة السياسية) وتحكمها النصوص الشرعية ، قبل النظر في مسألة اجتهاد الصحابة العدول

أو غيرهم ، وقبل النظر في رواية المؤرخين ونقدها .

النصوص الشرعية في فقه التحولات تثبت سلامة مطلب الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعدالة رأيه وموقفه قبل إثبات سلامته باجتهاده

فالنصوص الشرعية في فقه التحولات تثبت سلامة مطلب الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعدالة رأيه وموقفه قبل إثبات سلامته باجتهاده... أما غيره فلا حصانة للمواقف من النصوص وإنما حصانتهم من جهة (الاجتهاد) ، أو من حيث فهمهم للنصوص وحملها على واحد من محملين ، إما فهم صواب ولهم بذلك أجران أو محمل خطأ ولهم بذلك أجر... ويترجح بهذا الفهم الذي يجمع للإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حجة السلامة في الموقف بالنص أولاً ثم بالاجتهاد ثانياً استحقاقه بالحق من كل الوجوه أمام مجريات الفتنة السياسية مع جند الشام ومع غيرهم ، وليس في الأمر انحياز ولا ميل ولا جفاء لأحد بعينه ، وإنما هي قراءة نصية لما ورد عمن لا ينطق عن الهوى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، ومنطوقات خير الورى حاسم في الأمر ، وملزمة للقبول ، والأدب مع الجميع ومعرفة الحقوق الواجبة حق مفترض وضابط الأدب مع الجميع نصوص المناقب ، وضابط السلامة من فتنة السياسة نصوص التحولات ، ومن لم يفرق بين وظائف النصوص النبوية لا يمكنه أن يفرق بين أهل الحصانة من أهل الخيانة.. والأصل في نظر المسلم الباحث لهذه المسائل تحري الأمانة بشروطها المبنية على دراسة فقه النصوص كما أشرنا لذلك سلفاً .

ضابط الأدب مع الجميع نصوص المناقب، وضابط السلامة من فتنة السياسة نصوص التحولات

من أهم مفاصل الفتنة السياسية مع جند الشام معركة صفين

ومن أهم مفاصل الفتنة السياسية مع جند الشام(معركة صفين) وكانت كما وصفها المؤرخون (معركة شديدة لم يشهد الإسلام لها

مثيلا) ، وبصرف النظر عما جرى من الحيلة والالتفاف على الحق ، ورفع المصاحف والشعارات المؤثرة ، وما حصل بعد ذلك من مسألة التحكيم ونتائجها فكل ذلك يدخل تحت ما يعرف بالنتائج المنبثقة عن المقدمات .

الفئة الباغية هي جند الشام بنص الحديث: «ويح عمار تقتله الفئة الباغية»

أما الذي يهمنا في بحثنا العلمي القائم على نصوص فقه التحولات .. عدالة المعركة وأصحاب الحق المنصوص لهم فيها بالاستحقاق النبوي ومن ذلك: ما رواه البخاري من طريق أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال : «**ويح عمار تقتله الفئة الباغية**»[1] ، والفئة الباغية هي جند الشام في تلك المعركة ، وكفى بهذا النص حجة لا سبيل إلى دحضها إلا من كان من هذا الجند جاهلاً بالأمر.

مدارس الجنوح تتبنى فقه المبررات والمغالطات

وقد فسرت الفئة المنازعة حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بما يتناسب مع موقفهم السياسي كجزء من (فقه المبررات والمغالطات) الذي تتبناه مدارس الجنوح في تفسير النصوص .

وقد اتفق العلماء في شرحهم لهذا الحديث بكافة رواياته وطرقه أن الفئة الباغية (جند الشام) .

فقه المبررات يعتبر في فقه التحولات من وسائل الفتنة السياسية التي يستخدمها أرباب البغي ضد خصومهم

وفي هذا المفصل التاريخي نشير إلى ما ذكرناه سلفاً من فقه المبررات والمغالطة ، وأنه يعتبر في فقه التحولات إحدى وسائل الفتنة السياسية التي يستخدمها أرباب البغي والظلم ضد خصومهم ، وقد ظهرت هذه الحالة في كافة نماذج الفتن على صفة حوادث

---

(١) البخاري برقم (٤٤٧٩ ورقم (٢٨١٢).

ووقائع خُطِطَ لها بعناية ولها صلة خطيرة بما سماه النبي ﷺ (فتنة الدجال) باعتبار أن مرحلة التآمر على الخليفة الثالث ومقتله أول مدخل سياسي دجالي في الأمة المحمدية (مقدمات ونتائج) ، وهكذا فيما تلاها من الفتن السياسية المتلاحقة ، ومن هذه النماذج :

- الحشد الشامي لمعركة صفين .
- رفع المصاحف أثناء الهزيمة لقلب موازين القوى .
- تحريف مفهوم «عمار تقتله الفئة الباغية» .
- مجريات المعركة وملابساتها وظهور فريق الإمام علي رضي الله عنه بالأمانة وحسن المعاملة ، وظهور الفريق الآخر بالمخادعة وانتهاز الفرص .
- نتائج التحكيم ومسبباته .
- موقف الخوارج ضد قبول التحكيم ، وسوء معاملتهم لقرارات الإمام علي رضي الله عنه .

مواقف الإمام علي رضي الله عنه خلال معاملته لجند الشام تشير إلى سلامته وسلامة جنده من أحابيل الفتنة السياسية

ويرجح سلامة المتجه ودعوة الحق في الصورة المقابلة ما فعله الإمام علي رضي الله عنه من مواقف خلال معاملته مع جند الشام قبل المعركة ، وأثناءها مما تشير إلى سلامته وسلامة جنده من أحابيل الفتنة السياسية ، كتفقده قتلى وجرحى جند الشام مثل تفقده جرحى وقتلى أتباعه وجيشه يقول : (غفر الله لكم ، غفر الله لكم) .

وعن يزيد بن الأصم قال لما وقع الصلح خرج علي رضي الله عنه فمشى في قتلاه فقال : هؤلاء في الجنة ، ثم خرج إلى قتلى معاوية فقال :

هؤلاء في الجنة ، ويصير الأمر إليّ وإلى معاوية[1] ، وكان يقول عنهم : هم المؤمنون ، ومر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مُنْصَرَفهُ من صفين على مقابر صفين فقال: (السلام عليكم أهل الديار الموحشة ، والمحال المقفرة من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، أنتم لنا سلف فارط ، ونحن لكم تبع ، وبكم عما قليل لاحقون ، اللهم اغفر لنا ولهم ، وتجاوز بعفوك عنا وعنهم ، الحمد لله الذي جعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا ، الحمد لله الذي خلقكم ،وعليها يحشركم ، ومنها يبعثكم ، وطوبى لمن ذكر المعاد وأعد للحساب وقنع بالكفاء...)[2] ، وروي أن عليًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما بلغه أن اثنين من أصحابه يظهران شتم ولعن جند أهل الشام أرسل إليهما أنْ كفّا عما يبلغني عنكما ، فقالا : يا أمير المؤمنين ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ قال : بلى ورب الكعبة المسدنة ، قالا : فلمَ تمنعنا عن شتمهم ولعنهم؟ قال كرهت لكم أن تكونوا لعانين ولكن قولوا : اللهم احقن دماءنا ودماءهم ، واصلح ذات بيننا وبينهم وأبعدهم عن ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي من لجج به.[3]

وأخرج الحاكم (٢/ ٣٥٣) عن ربعي بن حراش قال : (إني لعند علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ جالس إذ جاء ابن لطلحة فسلم على علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ....)

(١) مصنف ابن أبي شيبة رقم(٣٧٨٨٠)

(٢) البيان والتبيين للجاحظ (٣/ ١٤٨).

(٣) سنن الترمذي (٢/ ١٨٩) رقم (١١١٠).

فساقه بنحوه وفيه (إني لأرجو أن أكون أنا وأبوك من الذين قال الله فيهم ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحِجر:٤٧].

هذه النصوص الأبوية شاهدة على سمو الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن دنايا الطباع المقيتة

ومثل هذه النصوص الأبوية شاهدة على سموا الإمام علي عن دنايا الطباع المقيتة ، ومؤكدة عظمة الأهداف التي يقاتل من أجلها وحقيقة مطابقته في السلم والحرب للمتبوع الأعظم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

الفتنة السياسية السادسة (فتنة الخوارج)

(علامة وسطى)

الخوارج جماعة من المسلمين الذين اتفقت مواقفهم السلبية مع ما ذكر عنهم في نصوص الأحاديث المعبرة عن صفاتهم المثبتة في السنة الشريفة ، وأول ظهور مدرستهم على عهد رسول الله ﷺ كما رواه الشيخان في صحيحهما من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقْسِمُ قسما أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال : يا رسول الله ، اعدل ، فقال : «**ويلك ومن يعدل إذ لم أعدل ؟!قد خبتُ وخسرتُ إن لم أكن أعدل**» فقال عمر : يا رسول الله ائذن لي فيه أضرب عنقه ، فقال : «**دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم ، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى رصافه فما يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى نضيِّهِ وهو قدحه فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء ، قد سبق الفرث والدم ، آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر ،**

ويخرجون على حين فرقة من الناس» ، قال أبو سعيد : فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه ، فأمر بذلك الرجل فالتُمِسَ فأتى به حتى نظرتُ إليه على نعت النبي ﷺ الذي نعته»[1]. وفي رواية أخرى قال ﷺ: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحاً ومساء**» قال: فقام رجل غائر العينين ، مشرف الوجنتين ، ناشز الجبهة كث اللحية ، محلوق الرأس ، مشمر الإزار فقال : يا رسول الله: اتق الله ، قال: «**ويلك أولستُ أحقَّ أهل الأرض أن يتقيَ اللهَ**» قال: ثم ولى الرجل ، قال خالد بن الوليد : يا رسول الله ألا أضرب عنقه ؟ قال: «**لا ، لعله أن يكون يصلي**» قال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه؟ قال رسول الله ﷺ: «**إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم**» قال : ثم نظر إليه وهو مقف فقال: «**إنه يخرج من ضئضيء هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**» وأظنه قال : « **لئن أدركتُهم لأقتلنَّهم قتل ثمود**»[2].

المدرسة الجانحة عن الحق هي التي تأخذ به ظاهراً وتحاربه باطنا

فكان هذا النص النبوي أول تقرير شرعي عن وجود مدرسة جانحة عن الحق منطوية فيه تأخذ به ظاهرا وتحاربه باطنا ، لها

---

(١) رواه البخاري بهذا اللفظ برقم (٣٦١٠) ورواه مسلم بلفظ قريب من هذا برقم (١٠٦٤).

(٢) رواه البخاري برقم (٤٣٥١) ، ومسلم برقم (١٠٦٤).

علامات ودلالات متوارثة عبر الأجيال إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا .

وأما انتشار مدرستهم وتعدد نماذجها فيأتي فيما رواه الشيخان أيضاً من حديث أبي سلمة وعطاء بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنهما أتيا أبا سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فسألاه عن الحرورية فقال : هل سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «**يخرج في هذه الأمة – ولم يقل منها – قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، فيقرءون القرآن لا يجاوز حلوقهم أو حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فينظر الرامي إلى سهمه ، وإلى نصله ، وإلى رصافه فيتمارى في الفوقة ، هل علق بها من الدم شيء**»[1] وفي حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكرم الله وجهه يرويه البخاري أنه قال : سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «**سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»[2] ، وروى مسلم رحمه الله من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**إن بعدي من أمتي ـ أو : سيكون بعدي من أمتي ـ قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حلاقيمهم ، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه ، هم شر الخلق والخليقة**»[3] ، وهذه الطائفة

---

(١) رواه البخاري بهذا اللفظ برقم (٦٩٣١) ، ومسلم برقم (١٠٦٤).

(٢)()رواه البخاري برقم (٦٩٣٠).

(٣) رواه مسلم برقم (١٠٦٧)

تنامت منذ بدء وصفهم على لسان النبي ﷺ في عصره في مثل قوله ﷺ لعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**إن من ورائهم رجالاً**» ، مجتمعة ، أو متفرقة ، في ظواهر وبواطن سلوك (ذي الخويصرة التميمي) كما ورد ، وفي ظواهر وبواطن سلوك (حرقوص بن زهير) في رواية أخرى ، وامتد الأمر إلى صفة الفئة والمجموعة على عهد عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وتحولت إلى مدرسة متكاملة على عهد الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، ومنها(الحرورية) ، وهي مدرسة ذي الثديين الذين قاتلهم الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، والحرقوصية التي تنامت من مواقف صاحبها حرقوص بن زهير السعدي ، والراسبية نسبة إلى عبد الله بن وهب الراسبي أول من أخذ إمارة الخوارج بعد معارضة التحكيم ، وكانت قضية التحكيم أول (فتنة سياسية للخوارج مع الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) ، وكان أول ما فعلوه امتناعهم عن موافقة الإمام إنفاذ أبي موسى الأشعري حكما ، وقرروا الانفصال واجتمعوا على ذلك في جانب من جوانب العراق سمي (النهروان) ، ولما تفرق الحكمان على غير رضا في صفين كتب أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إليهم وقال لهم : ارجعوا إلى ما كنتم عليه وسيروا بنا إلى قتال أهل الشام ، فأبوا ذلك وقالوا : حتى تشهد على نفسك بالكفر وتتوب ، فلما قرأ كتابهم أيس منهم . ا هـ . وأرسل إليهم من يناظرهم فعاد منهم من عاد وبقي منهم من بقي ، وحدد الإمام سياسته نحوهم بثلاثة ضوابط:

أول فتنة سياسية للخوارج مع الإمام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هي قضية التحكيم

- لا نمنعكم صلاة في المسجد .

- لا نمنع نصيبكم من الفيء ما كانت أيدكم مع أيدينا .
- ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا .

ولكن الخوارج لم يلتزموا للشرط ولم يعترفوا بخلافته ، واستباحوا الدماء ، وقطعوا السبيل ، وأصدروا الأحكام الجائرة على من خالفهم ، حتى أثاروا الرعب بين الناس. وأرسل إليهم الإمام علي ليسلموه القتلة وقطاع الطريق فأجابوه بعناد (كلنا قتلة) ، فسار إليهم بجيشه في شهر محرم عام ٣٨هـ وقال : أُمِرْتُ بقتال المارقين، وهؤلاء المارقون ، وقاتلهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قتالاً شديداً حتى فر من بقي منهم بعد الهزيمة الساحقة ، وكان علامتهم ذو الثدية ، وهو الذي أمر الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالبحث عنه بين القتلى حتى وجده فكبر وسجد لله شكرا.

كانت علامة الخوارج الذين قاتلهم الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجود ذي الثدية

ولسنا هنا في معرض سرد الحادثة ومجرياتها ، فكتب التاريخ والسير قد تولت هذه المهمة ما بين مختصر ومبسوط ، وإنما نكتفي هنا بطرف من الحوادث وما يؤيد الموقف الصحيح من فقه التحولات باعتبارها مرجحاً للحق وفاصلة في الأمر ، وسابقة في حكمها عن الحوادث ذاتها قبل وقوعها ، مع أخذنا بالاعتبار لمسألة الاجتهاد فيما اختلف عليه ، وخاصة مواقف العدول من الآل والصحابة والتابعين ، لأن مواقف العدول مرتبطة بالحصانة الشرعية.

موقف العدول مرتبطة بالحصانة الشرعية

لا يحق لأحد أن يذم أو يستنقص أحداً دون نص صريح بذلك

أما مواقف غيرهم فلها ضابط آخر من نصوص فقه التحولات يشهد على جنوح الموقف لدى الخوارج ومن سماهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

بالمنافقين ، أو من صدر بصدده نص يقدح في عدالته أو في حكمه أو علمه أو مواقفه ، ولا يحق لأحد أن يذم أو يستنقص أحداً دون نص صريح بذلك.

تستمر مدرسة الخوارج بلية في الأمة جيلا بعد جيل حتى يكون آخرهم مع الدجال

ومن المعلوم أن هذه الفتنة التي كانت مخصوصة في أفراد تحولت إلى مدرسة ذات أبعاد يتوافق أشتاتها في الفكرة والمواقف ، ويختلفون في الموطن والمرحلة والعرق والانتماء ، وإلى هذا المعنى يشير الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما فرغ من معركة النهروان ، وقال له رجل : الحمد لله الذي أبادهم وأراحنا منهم ، فقال الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لا والذي نفسي بيده إن منهم لمن في أصلاب الرجال لم تحمله النساء بعد ، وليكونن آخرهم لصاصاً حرّادين)[1] ، وفي هذا إشارة إلى استمرار مدرستهم بلية في الأمة جيل بعد جيل حتى يكون آخرهم مع الدجال ، ويؤيد هذا المعنى ما رواه ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**ينشأ نشء يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج قرن قطع**» قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «**كلما خرج قرن قطع ـ لأكثر من عشرين مرة ـ حتى يخرج في أعراضهم الدجال**»[2] .

اتفقت الخوارج على قتل ثلاثة قادة من المسلمين: الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص

ولقد تركت معركة النهروان في نفوس الخوارج أثراً كبيراً وهزيمة بالغة النتائج ، ولم يزد من بقي منهم هذا الأمر إلا شدّة وعتواً ، ولذلك اتفق نفر منهم على الفتك بالإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وجاء في

---

(١) مصنف عبد الرزاق برقم (١٨٦٥٥)

(٢) رواه ابن ماجه برقم (١٧٤).

بعض الروايات اتفاق الخوارج على قتل ثلاثة قادة من المسلمين وهم الإمام علي رَضِيَاللَّهُعَنْهُ ، وانبرى لقتله عبد الرحمن بن ملجم ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وانبرى لقتله البرك بن عبد الله ، وعمرو بن العاص وانبرى لقتله عمرو بن أبي بكر.

علم الإمام علي رَضِيَاللَّهُعَنْهُ من رسول الله صَلَّىاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ خبر شهادته وخبر قاتله

واهتمامنا هنا بمن ذكرته النصوص وأدانت فعلته الشنعاء ، وعلاقة القاتل والمقتول بالنص النبوي ، فالإمام علي رَضِيَاللَّهُعَنْهُ كان قد علم من رسول الله صَلَّىاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ خبر شهادته وخبر قاتله ، فمن كتاب البداية والنهاية لابن كثير عن عبد الله بن سبع قال: سمعت عليا رَضِيَاللَّهُعَنْهُ على المنبر يقول: (ما ننتظر إلاّ شقياً عهد إليّ رسول الله صَلَّىاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ: «**لتخضبن هذه من دم هذا**» قالوا: أخبرنا بقاتلك حتى نبيدَ عترته. قال: أنشد الله رجلاً قتل بي غير قاتلي) اهـ وفي بعض الروايات أن عليا رَضِيَاللَّهُعَنْهُ قال عن عبد الرحمن بن ملجم: ٠أما إن هذا قاتلي) قيل: فما يمنعك منه؟ قال: (إنه لم يقتلني بعد) ##اهـ الاستيعاب (٣/ ١٢٧) وفي رواية أن علياً رَضِيَاللَّهُعَنْهُ قال سمعت الصادق المصدوق صَلَّىاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ يقول: «**إنك ستضرب ضربة هاهنا ـ وأشار إلى صَدُغَيْهِ ـ فيسيل دمها حتى يخضب لحيتك ، ويكون صاحبها أشقاها كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود**»[1].

الإمام علي رَضِيَاللَّهُعَنْهُ ينصف بأنه إن مات قتل قاتله به من غير مُثْلَة

ولما قُتل رَضِيَاللَّهُعَنْهُ وقبل وفاته قال: (احبسوا الرجل ، فإن مت

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم (١٧٣) ، والحاكم في المستدرك برقم (٤٥٩٠).

فاقتلوه ، وإن أعش فالجروح قصاص) وقال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون في دماء المسلمين ، تقولون : قتل أمير المؤمنين قتل أمير المؤمنين ، ألا لا يَقْتُلُنَّه انظر يا حسن: إن مت من ضربته هذه فاضربه ضربة بضربة ، ولا تمثل بالرجل فإني سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ: «**نهى عن المثلة ولو بالكلب العقور**»[1] .

بمقتل الإمام علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ خسر الإسلام ووسطيته الشرعية أحد أعلام الديانة وحمل الأمانة

وبمقتل أمير المؤمنين انسدل ستار من الحزن والألم... كان الإمام يعبر عنه في بعض خطبه فيقول: (اللهم إني قد سئمتهم وسئموني ، ومللتهم وملوني. فأرحني منهم وأرحهم مني ، ما يمنع أشقاكم أن يخضبها بدم ، ووضع يده على لحيته) [2] رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، وهكذا ذهبت العدالة والسلامة والحصانة المتمثلة في الإمام علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بسيفي البغي والعدوان والإفك والعصبية كثمرة من ثمرات الفتن المضلة التي انفجرت بعد مقتل عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، وخسر الإسلام ووسطيته الشرعية أحد أعلام الديانة وحمل الأمانة ..

الإمام علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مؤيد بقتال جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره

وهكذا عبر عن ذلك ولده الإمام الحسن في خطبته غداة وفاة والده فقال :

(أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن جهلني أنبأته باسمي على أن الناس بي عارفون .. أيها الناس : قد دفن في هذه الليلة رجل لم

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٩٧).

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف برقم (١٨٦٧٠) ، ورواه معمر بن راشد في الجامع برقم (٢٠٦٣٧).

تدركه الأولون بعلم ولا الآخرون بحلم ، ولقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا قدمه للحرب فجبريل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره ، فما يلبث إذ يفتح الله على يديه ..الخ .

أيها الناس إنه ما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمئة درهم قد كان أراد أن يبتاع بها لأختي أم كلثوم خادما ، وقد أمرني أن أردها إلى بيت المال .

صلح الإمام الحسن

(علامة وسطى)

الوقاية السياسية من الفتنة خلال مرحلة الإمام الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

كان موقف الإمام الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بعد بيعة التنازل عن قرار الحكم نتيجة من نتائج اجتهاده الواعي وتقديره السديد ، وكان موقفه تحولا تاريخيا عظيماً بكل مقاييس العظمة الشرعية في الديانات ، وقد لا يدرك هذه العظمة كثير من الناس بل لا يدركها كثير من علماء الفتنة. فالموقف السديد من الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان دراسة واعية لتاريخ الفتن ووسائل معالجتها ، وليس موقفاً اعتباطياً ولا قراراً عشوائياً ، ولا جبانة ولا تنصلا على المسؤولية المناطة به ، فقد عاصر مسيرة الفتنة السياسية منذ جذورها ، وقرأ الخيارات المتعددة في المعالجة من النص ومن عدالة الأثبات داخل بيت النبوة وخارجه ضمن حضيرة الخلافة الراشدة ، وفي ذلك روي عنه قوله: (أراد أمير المؤمنين الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمراً ، فتتابعت الأمور ، فلم يجد

منزعاً)[1] ، وعن سليمان بن صرد ، عن الحسن بن علي ، سمع علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول حين نظر إلى السيوف قد أخذت القوم : (يا حسن أكلُّ هذا فينا ! فيا ليتني مت قبل هذا بعشرين أو أربعين سنة)[2] .

الإمام الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولد على عهد الرسالة ونشأ على عهد الخلافة وعاصر فتنة عثمان وصار أمر القرار في عهد والده ثم تولى الخلافة بعد موت والده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

فمولده على عهد الرسالة ، ونشأته ويفاعه على عهد الخلافة ، ومعاصرته الفعلية للفتن في عهد عثمان ثم لأمر القرار على عهد والده الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى بلغت إليه البيعة على رأس ركام من النقائض والنواقض لم يجد بدّاً أمامها من المواجهة المناسبة للموقف .

وترتكز المواجهة المناسبة للموقف على قاعدتين جمعهما في كلمته التي ألقاها في خطبة التنازل[3] .

- الأولى: إن الله هداكم بأولنا ، وحقن دماءكم بآخرنا .
- الثانية: وإن معاوية نازعني أمراً أنا أحق به منه ولكني تنازلت عنه حقناً لدماء المسلمين ، وطلباً لما عند الله .

صار الإمام الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سيداً في أمة القرآن والسنة بالصلح الذي أجراه بين الفئتين العظيمتين من المسلمين

وهاتان القاعدتان هما مرتكز الصلح الذي صار به الإمام الحسن

---

(١) الفتن لنعيم بن حماد برقم (١٧٩).

(٢) رواه نعيم بن حماد في الفتن برقم (١٨٠) ، ورواه قوام السنة إسماعيل الأصبهاني في كتاب الحجة في بيان المحجة برقم (٥٥٦) بلفظ: (ولوددت أني مت...الخ)

(٣) هذه الخطبة وردت في كتب السير والتاريخ بروايات متنوعة ومنها هذه الرواية التي اخترناها نموذجا للموضوع راجع صـ (٢٠٨) فقه الفتن.

سيداً في أمة القرآن والسنة ، وفيه قال سيد الملة ﷺ مستبقاً للحادثة ومقدراً موقف السيادة لابنه الحسن: «إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[1].

وفيه إشارة واضحة إلى أن الخروج ـ من الفتنة السياسية ـ ولو بالتنازل عن الحق المجمع عليه ، في سبيل المصلحة العامة خَير من التعصب على أخذ الحق بالقوة متى ما كان فيه مغامرة بدماء المسلمين .

وكان صلح الإمام الحسن وقايةً ودرءًا من الفتنة السياسية الهالكة المدمرة التي لا مجال لصدها لو لم يقم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بهذه المعالجة (طلباً لما عند الله).

ترتب على موقف الإمام الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ المتميز معرفة الرحمة الكبرى للأمة من خطر الفتنة واستباحة الدم فيما لا يستحق الأمر فيه ذلك

والطلب لما عند الله هدف غائي عظيم قطع به دابر المجد الصوري والحظ النفسي الطبعي ، وغلَّب به أمر الآخرة على أمر الدنيا لشرف ما عنده من الارتباط المعرفي بمولاه وموعوده الحق ، بل وترتب على موقفه المتميز معرفة الرحمة الكبرى في عاطفته الجياشة للأمة من خطر الفتنة واستباحة الدم فيما لا يستحق الأمر فيه ذلك.. وخاصة بعد وضوح الأمر وإصرار المفتونين على المضي قُدُماً في معركة الهلاك والدمار للإسلام وأهله تحت فقه المبررات والمغالطة المعهود.

لقد عمل الإمام الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في مرحلته المتميزة بمبدأ (إنقاذ ما يمكن إنقاذه) فأرسى بهذا المبدأ سلامة السفينة وسلامة ركابها ،

---

(١) سبق تخريجه .

وكان من بركاته وسلامة قراره ظهور الاجتماع والألفة بين شرائح الأمة في صورتها الشعبية ، وإعادة النظر في ميراث النبوة العلمي وخدمته بعيداً عن الفتنة السياسية وملابساتها ومبرراتها ومغالطاتها ، والتي سارت في إطار فتنة الحكم ومتعلقاته معلومةً في أتباعها ومميزةً بأصحابها ودعاتها وحملة وسائطها ووسائلها جيلاً بعد جيل على مدى التاريخ المنصوص عليه في أحاديث فقه التحولات بمرحلة الملك العضوض .[١]

كان من بركات قرار الإمام الحسن رضي الله عنه ظهور الاجتماع بين شرائح الأمة وإعادة النظر في ميراث النبوة العلمي بعيداً عن الفتنة السياسية

إن هذا المفصل الهام في هذه المرحلة يجب أن تعاد دراسته بتأنٍ وموضوعية وصدق وأمانة لأن طرفي الإفراط والتفريط من أصحاب الفتنة السياسية داخل الملك العضوض ، والفتنة السياسية المعارضة لهم قد خلطوا أوراق المرحلة الخاصة بالصلح ، وربطوها بلاحق الفتن الساحقة الماحقة وحولوا الأمر إلى صراع بين رؤيتين لا ثالث لهما ، وموقفين لا وسط بينهما ، أفرزت للعالم العربي والإسلامي في صورتين متعارضتين صراعاً سياسياً بين

أصحاب الفتنة السياسية داخل الملك العضوض والفتنة السياسية المعارضة لهم خلطوا أوراق المرحلة بالصلح وربطوها بلاحق الفتن الساحقة أفرزت للعالم صراعاً سياسياً بين (السنة المصنعة والشيعة المقنعة)

---

(١) في كتاب فقه الفتن لعبد الواحد الإدريسي عبارات هامة لفتت نظري حول الإمام الحسن فأحببت أن أشير إليها لأهميتها في وصف الحسن ومواقفه صـ (٢٠٩) قال : (فالحسن بن علي رضي الله عنه أحد فقهاء الفتن ، وخبراء المحن الذين يقتدى بهم ، ويستنار بمواقفهم في ظلمات البلايا التي تحيط بالمسلمين ، وقد ضرب المثال في التفاني ، وإيثار مصلحة المسلمين على غيرها من المصالح ، وعمله رضي الله عنه اجتهاد راجح محبوب ، ومسلك راشد ومطلوب) .

(السنة المصنعة والشيعة المقنعة) إلى اليوم وتحت رعاية ونظر القوى المحركة للفتن السياسية محلياً وإقليمياً وعالمياً ، وتكاد هاتان الفتنتان السياسيتان تأكلان الأخضر واليابس في أمة القرآن والسنة نتيجة طمس الشيطان وأتباعه موقع المدرسة الوسطية الشرعية مدرسة النمط الأوسط ذات العلاقة المباشرة بصلح الإمام الحسن من حيثية ، وبمواقف الإمام الحسين من حيثية أخرى داعمة لمواقف الحسن ومؤيدة له وإن اختلفت كيفيتها.

النصوص الشرعية هي الضابطة لمواقف رجال النمط الأوسط، وليست مواقف الأتباع والأشياع

فالنصوص الشرعية هي الضابطة لمواقف رجال النمط الأوسط ، وليست مواقف الأتباع والأشياع ، ومن النصوص المشيرة إلى وحدة المنهج والرؤية في الصلح بين الإمامين العلمين الحسن والحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قوله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند خروجه من الحجاز (إنما خرجت لأصلح في أمة جدي) ، ولن يكون الإمام كاذباً في مقولته بل كذب البغاة من جهة وكذب الغلاة من جهة أخرى ، وضاع موقف الأئمة بالصراع المفتعل بين الأمة.

معالجة مشكلة البغاة مرهونة بقراءة فقه التحولات بموضوعية وعمق النظر في نصوص المتغيرات

وأعتقد والله أعلم ، أن معالجة هذه المشكلة مرهون بقراءة فقه التحولات بموضوعية وعمق النظر في النصوص الخاصة بعلم المتغيرات .. لأن عزل المتغيرات عن الثوابت جعل الكثير من العلماء ورؤوس الفتن يعالجون المتغيرات وفقه الفتن بنصوص الثوابت ، أو تراهم ينفون الفتنة عن أنفسهم وأتباعهم وهم جزء لا يتجزء منها ، ويلبسونها غيرهم ممن خالفهم ولو كانوا من عدول الأمة.

براءة رجال النمط الأوسط من الفتنة السياسية المضلة وإثبات سلامة اجتهادهم

أشرنا في الفصل السابق إلى وحدة موقف أئمة الدين العدول وأنهم برآء من الفتن ومعدّلون بنصوص الحصانة الشرعية سواء كانوا من أئمة الصلح المجمع عليه في عهد الإمام الحسن، أو من ضحايا المرحلة الكربلية، ومن جاء من بعدهم من (بقية السيف)، فهؤلاء جميعا موقفهم موقف الوسطية الشرعية بين موقف البغاة المفرّطين، وموقف الغلاة المفرطين.

الذين اختاروا الصلح ووضعوا أسس مرحلة الجماعة أو الذين حملوا السيف باجتهاد شرعي لا يخرجون عن مدلول النمط الأوسط

فالذين اختاروا الصلح ووضعوا أسس مرحلة الجماعة أو ما عبر عنها فيما بعد(بأهل السنة والجماعة)، أو أولئك الأئمة الذين حملوا السيف باجتهاد شرعي أمام الظلم والظالمين، وكتب الله لهم الشهادة والموت في سبيل الله كالإمام زيد بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وذو النفس الزكية ومن على شاكلتهم من كبار أئمة آل البيت المحصنين بالنصوص والمواقف، فهم لا يخرجون عن مدلول النمط الأوسط المشار إليه نصاً بالسلامة والعدالة.

الذين عدلوا عن منهج التوسط الشرعي هم جزء من فتنة المسيخ الدجال

أما غيرهم ممن عدل عن منهج التوسط الشرعي، ومن نحا إلى الافراط في الأحكام والمواقف، أو نحا إلى التفريط، وانطبقت عليهم نصوص الفتن المضلة.. فهم بلاشك جزء من فتنة المسيخ

الدجال السياسية وهم يعلمون أو لا يعلمون[1].

إن قراءتنا في فقه التحولات لمفهوم الفتنة السياسية تختلف كثيراً عن قراءة الباحثين المرتبطين بمناقشة الحوادث والوقائع وفق مجرياتها السياسية ومخرجاتها.

قراءة فقه التحولات للفتنة السياسية مرتبطة ومتصلة تجمع المرحلة بمسماها، والجماعة بعلاماتها

فالفتنة السياسية في نصوص فقه التحولات تشكل وحدة عمل مترابطة ومتصلة تجمع (المرحلة بمسماها) (والجماعة بعلامتها) بصرف النظر عن مسألة ظواهر الصلاح والتقوى ونماذج الخدمة العلمية والعملية في الأمة التي قد تبرز في حاكم أو عالم أو مرحلة أو تاريخ معين.

فقه التحولات لا يولي اهتماماً إلى ما تروجه أبواق الإعلام وإنما إلى النصوص الورادة

حيث إن الغالبية من الناس يأخذ بهم الالتفات إلى ما تروجه أبواق الإعلام عن الفرد أو النظام أو المنجزات أو غيرها ، وبها غالباً يعدلون الحاكم والعالم والمرحلة ، أما فقه المتغيرات القائم على دراسة نصوص فقه التحولات لا يولي هذه المسألة اعتباراً ، وإنما يعتبر النصوص الواردة في عدالة الفرد أو المرحلة أو المخرجات السياسية والعلمية ، وبها تكون العدالة والحصانة والولاء والبراء.

لقد ثبت في نصوص فقه التحولات حالة ظهور الفتنة السياسة الدجالية الأخيرة ، أن أول مظاهرها الدعوة لكتاب الله وسنة

---

(١) راجع في هذا المجال كتاب «إحياء منهجية النمط الأوسط من سادات الصلح وبقية السيف وبراءتها من طرفي الإفراط والتفريط المسيس» للمؤلف .

رسوله ﷺ ، والاعتناء بالقرآن وكثرة تلاوته وحلقاته ومدارسته وتحسين الأصوات به ، ومثل هذه المظاهر كافية لإقناع الشعوب بسلامة المتجه السياسي وضرورة الاهتداء والاقتداء به ، ولكن هذا في نصوص فقه التحولات يعد (دجلاً وكذباً وزوراً وبهتاناً) ينكشف على مدى زمن قريب ، ويظهر الدجاجلة كيف يتحالفون سياسياً مع الدجال في أخطر المواقف المحلية والإقليمية والدولية تربية وتعليماً وثقافةً وإعلاماً واقتصاداً واستراتيجية على حساب مسخ الديانة وثوابتها المصيرية في شعوب القرآن والسنة .

تفسيرات فقه التحولات لقضايا الأمة تختلف عن تفسيره القادة والمفكرين والباحثين والمتخصصين

إن تفسيرات فقه التحولات لقضايا الأمة تختلف عن تفسيره القادة والمفكرين والباحثين والمتخصصين ، حيث يلزم هذه الشرائح المعرفية أن تضع حسابا للتوازنات الدولية والمصالح السياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها ..فيكون تفسيرها للأمور وفق المصلحة المناسبة للواقع ولحملة القرار .

صار علم فقه التحولات مكتوماً ومكنوناً بين أهله لأن القرار السياسي يرفض الإفصاح ويأباه

أما فقه التحولات فقراءة شرعية لقضية الإيمان في أهله والكفر في معتنقيه وربط العقيدتين بمراد الله فيهما وفي أتباعهما .. ووضع كل فريق في مترسه العقدي والإيماني ، بعيدا عن المجاملات والتنازلات السياسية المجحفة .. ولأجل هذا صار هذا العلم مكتوما ومكنونا بين أهله ، لأن القرار السياسي يرفض الإفصاح ويأباه ، بل ربما أدى الإفصاح إلى ما عبر عنه أبو هريرة في مقولته المشهورة : (لو بثثته لقطع مني هذا البلعوم) ، ومع أن أبو هريرة حرص حرصا شديداً

على الكتمان إلا أنه صاح بأعلى صوته في أكثر من مناسبة وحادثة ، معلنا عن موقفه السياسي من ساسة المراحل وعناترة القرار كمثل قوله علنا : (اللهم لا تبلغني عام الستين) ، ولما سئل عن ذلك ، أشار إلى ما علمه من رسول الله ﷺ (عن ظهور أغيلمة قريش الذين يكون هلاك الأمة على أيديهم) ، ومثل أبي هريرة آخرون كثر ممن علموا وعرفوا فتن السياسة وحيصاتها وظلوا يسألون الله العفو والعافية حتى توفاهم الله ..

الفتنة السياسة السابعة
مرحلة الملك العضوض الأولى - مرحلة بني أمية
(علامة وسطى)

وهي مرحلة مفصلية خطيرة تعدّ في فقه التحولات علامة من علامات الساعة الوسطى ، وهي تشمل مرحلة بني أمية؟ وفي مرحلة بني أمية يقول ﷺ: «**تعوذوا بالله من رأس السبعين ومن إمارة الصبيان**»[1]

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيت في منامي كأن بني الحكم بن أبي العاص ينزون على منبري كما تنزوا القردة**» قالوا : فما رُئِي النبي ﷺ ضاحكاً حتى توفي»[2].

تنقسم مرحلة الملك العضوض إلى قسمين: الأول: العهد السفياني الأموي، والثاني: العهد المرواني الأموي

وتنقسم مرحلة الملك العضوض الأولى إلى قسمين :

الأولى: العهد السفياني الأموي ، ويبدأ نصاً بمعاوية وينتهي

---

(١) رواه أحمد في مسنده برقم (٩٧٨٢) ، وفي رواية لأحمد : «من رأس السبعين ، إمارة الصبيان) برقم (٨٣٢٠) ، وفي مصنف ابن أبي شيبة: (ومن إمرة الصبيان) برقم (٣٧٢٣٥).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك برقم (٨٤٨١) ، ورواه أبو يعلى برقم (٦٤٦١).

بمروان بن الحكم .

الثانية: العهد المرواني الأموي ، ويبدأ بعبد الملك بن مروان وينتهي بمروان بن محمد.[1]

نصوص فقه التحولات تقدح في بعض أفراد الملك العضوض

وقد أثبتت نصوص فقه التحولات القدح في بعض أفرادهم وهي ما بين الحسن والضعيف ، ووقائع الأحوال تصدق النص ولو كان النص لدى بعض المحدثين متكلماً في سنده أو متنه ، ففي كتاب الفتن لنعيم بن حماد حديث برقم (٣٠٦) عن راشد بن سعد أن مروان بن الحكم لما ولد دفع إلى رسول الله ﷺ ليدعو له ، فأبى أن يفعل ، ثم قال: «**ابن الزرقاء هلاك عامة أمتي على يديه ويدي ذريته**»[2] ، وعن عبد الله الكلاعي قال حدثنا بعض أشياخنا أن رسول الله ﷺ لما نظر إليه ليدعو له قال: «**لعن الله هذا وما في صلبه إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم**»[3] ، وعن علي بن علقمة الأنماري قال سمعت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: (إن

(١) يخرج من عموم حكم (الملك العضوض) عهد الخليفة السادس عمر بن عبد العزيز دون غيره اهـ

(٢) الفتن لنعيم بن حماد برقم (٣١٠).

(٣) الفتن لنعيم بن حماد برقم (٣١١) ، ورواه الحاكم في المستدرك برقم (٨٤٨٤) بلفظ: «ائذنوا له عليه لعنة الله ، وعلى من خرج من صلبه ، إلا المؤمن منهم وقليل ما هم ، يشرفون في الدنيا ويضعون في الآخرة ، ذوو مكر وخديعة ، يعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق».

لكل شيء آفة تفسده ، وآفة هذا الدين بنو أمية)[1].

وفي زوال ملكهم يقول الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيما رواه ابن سيرين عن عبيدة قال : سمعت عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «لا يزال هؤلاء القوم آخذين بشبح هذا الأمر ما لم يختلفوا بينهم ، فإذا اختلفوا بينهم خرجت منهم ، فلم تعد إليهم إلى يوم القيامة» يعني : بني أمية.[2]

ومسمى الملك العضوض قادح شرعي يقدح في عدالة القرار السياسي وجنوحه عن النهج الإسلامي الصحيح ، ضابط ذلك قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**يكون بعد الأنبياء خلفاء يعملون بكتاب الله ويعدلون في عباد الله ، ثم يكون من بعد الخلفاء ملوك يأخذون بالثأر ويقتلون الرجال ويصطفون الأموال ، فمغير بيده ومغير بلسانه ومغيّر بقلبه ، وليس وراء ذلك من الإيمان شيء**»[3] اهـ ، والقادح الشرعي للمرحلة في الحديث يتبين بأمور:

القادح الشرعي في الملك العضوض يتبين بأمور : يأخذون بالثأر، يقتلون الرجال، يصطفون المال

الأول: يأخذون بالثأر ، وهي صفة البداوة والجاهلية وليست من صفات أهل الديانة .

الثاني: يقتلون الرجال ، رغبة في تقليل عدد المخالفين لهم باغتيالهم والتربص بهم .

الثالث: يصطفون الأموال ، وهو ما يعرف بالكنز وحفظ

---

(١) الفتن برقم (٣١٣). والمقصود بذلك حملة قرار الحكم منهم وليس عامتهم.

(٢) الفتن لنعيم بن حماد برقم (٥٢٢).

(٣) عن أبي هريرة ذكره في إتحاف الجماعة للتويجري (١/ ٢١٣) وعزاه للبيهقي.

الأرصدة .

ولا يخلوا عهد من عهود الملك العضوض في المرحلتين من هذه القوادح الشرعية ، أما في عهد عمر بن عبد العزيز وبرغم عضوضية المرحلة من قبل ومن بعد فقد تميزت مرحلته بانعدام القادح الشرعي المشار إليه ، ولأجل ذلك سمي بالخليفة الراشد.

سمي عمر بن عبدالعزيز بالخليفة الراشد: لخلو مرحلته عن القادح الشرعي المشار إليه

وهذا القادح الشرعي المشار إليه سلفاً تتبعه قوادح أخرى في جملة من الأحاديث المعنية بفقه المتغيرات وعلم فقه التحولات ومنها:

- **وأنه كائن ملكاً عضوضاً** (أي : تحول الحكم من الشورى إلى التوريث).
- **وعتوّاً وجبرية** (أخذ الناس بالظلم والقوة والإجبار) .
- **وفساداً في الأمة** (تغير أصول الشريعة في القضاء والاقتضاء وفق المصلحة) .
- **يستحلون الخمور والحرير والفروج**[1] (ارتكاب الكبائر والفواحش علناً مع إغفال إقامة الحدود) .

موقع الشعوب في مرحلة الملك العضوض ومن فيهم من رجال النمط الأوسط لا علاقة لهم فيه ولا بمواقفه وانحرافاته

وهذا كله يشير إلى فساد موقع القرار الحاكم ، وأما موقع الشعوب ومن فيهم من الأئمة في الدين والعلماء والأولياء والصلحاء فلا علاقة لهم بالملك العضوض ومواقفه وانحرافاته ، وهذا التفصيل مهم جداً في قراءتنا لمرحلة الملك العضوض الأولى والثانية من جهة ، لأن المعارضين لمرحلة بني أمية ينظرون إلى جميع ما في المرحلة بنظرة

(١) رواه الطبراني في الكبير (٣٦٧) .

القادح السياسي المشترك ، بل يشملون المحدثين وعلماء المذاهب الإسلامية ويصفونهم بما يصفون به حكام المرحلة ، والأمر على غير هذا الحكم الجائر فلا شك أن في هذه المراحل بين الشعوب والعامة من لا تنطبق عليه تهمة العضوضية ولا الخيانة ، ومنهم رجال النمط الأوسط حملة الوراثة المسندة الصحيحة على مدى تاريخ التحولات من قال فيهم ﷺ: «**يرث هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين**»[1].

المراحل المدانة بالنص قد يكون فيها حصانة أو عدالة بنص آخر ففساد سياسة الحكم لا يقدح في عدالة بعض الرعايا والأعلام

فالمراحل المدانة بالنص قد يكون فيها حصانة أو عدالة بنص آخر ففي عهد معاوية تجهز المسلمون لغزو القسطنطينية ، وحرص العديد من الصحابة العدول على المشاركة في هذه الغزوة لما ورد فيها من البشارات بالغفران حيث ورد «**أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفورا لهم**» رواه البخاري(٢٧٦٦) فكان ممن شارك في هذه الغزوة سيدنا الإمام الحسين بن علي وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبو

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي برقم (٢٠٩١١) ، وهؤلاء العدول ليسوا من صنف المعارضة السياسية ضد حكم بني أمية وكان منهم الإمام علي زين العابدين الذي عاصر هشام بن عبد الملك ومعه جملة من أتباع وتلاميذه والآخذين عنه من طوائف المسلمين وعامتهم ممن لم يحملوا سيفا ولم يقاتلوا حاكما من أجل القرار، وإن كانت لهم مواقف ذاتية فهي في صدورهم إلى أن لقوا الله على سلامة واطمئنان .

أيوب الأنصاري وعبد الله بن عباس وأبو شيبة الخدري ، فعلم من هذا النص حصانة الجيش الغازي وحصانة المرحلة برفع راية الجهاد ومشاركة الصحابة العدول وإن كان قرار الحكم مداناً من بعض الوجوه .. ففساد سياسة الحكم لا تقدح في عدالة بعض الرعايا والشخوص الأعلام ، بل إنه مع هذا الفساد الممقوت في سياسة الحكم فإن هناك في بعض المراحل والشخوص جوانب خيّرة ، وخدمات للإسلام والمسلمين لا تجحد ، وما من علم من أعلام مرحلة الملك العضوض إلاّ وكتب التاريخ تشير إلى طرف من إيجابياته وماله من محاسن ومآثر ، إلا أن فقه التحولات في تناوله لهذه المراحل والشخوص لا يعتمد على فقه الحوادث وسيرة المؤرخين ، وإنما يلتزم النصوص سواء في ذكر المناقب للفرد ذاته ، أو في فقه التحولات وسير المتغيرات السياسية والاجتماعية كما سبقت الإشارة إليه ، ولكن البيان والإيضاح والتفصيل أفضل وأعدل من الخلط والتعمية القادحة في العدول وأئمة الدين .

الفتنة السياسية الثامنة

(بيعة يزيد وما ترتب عليها من مواقف)

مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(علامة وسطى)

وتندرج هذه الفتنة تحت مسمى (الملك العضوض) وهو المسمى الذي أدان به نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ القرار السياسي وحامليه في هذه المرحلة ، وقد تحول القرار من حكم شورى إلى وراثة وولاية للعهد ، في ظروف وملابسات تناولتها كتب التاريخ بأكثر من وجهة نظر ، والذي يعنينا من هذه الوجهات المتنوعة أنها مرحلة مخالفة للوجه الشرعي المنصوص عليه في شأن قرار الحكم ، وأن قرار التولية وما ترتب عليه في هذه المرحلة لعبة وفتنة سياسية مقيتة ، ويدل على ذلك موقف الثلاثة العدول[١] الذين هربوا من مسؤولية البيعة ،

---

(١) المقصود هنا بالعدول كونهم مثالا من أمثلة النمط الأوسط الذين اختاروا الخروج على البيعة العامة معادلاً لعدول آخرين بايعوا درءًا للفتنة واستجلاباً للأمان العام

وهم الإمام الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

وقد لاحقهم معاوية إلى مكة وكلمهم من شأن البيعة فأجاب عنهم عبد الله بن الزبير ، وحثه أن يسير على طريق الصحابة الأولين ولا يجعل الخلافة ملكاً على طريق القياصرة ، فرد عليه معاوية : إني كلما قلت لكم قولاً عارضتموني ، وسأذهب بكم إلى المسجد الجامع وعلى رؤوسكم السيف فمن خالف أمري أصابه السيف وسار بهم إلى المسجد وخطب في الناس وأعلن موافقة الثلاثة والسيوف على رؤوسهم .

الثلاثة العدول أعناقهم سليمة من البيعة

وسواءً صحت الرواية أم لم تصح فالثلاثة العدول لم يضعوا يدهم في يد يزيد ولم يبايعوه على وجه الحقيقة ، فظلت أعناقهم سليمة من البيعة ، وموقفهم مثالاً لمنهج النمط الأوسط أمام القرار السياسي المفتون ، وبدأ عهد يزيد يحمل بوادر فتنة خطيرة أطلق عليها البعض (الفتنة الثانية) بعد فتنة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فقد حملت مواقف مهينة للإسلام ومدمرة لتماسك الأمة ومنها:

عهد يزيد حمل مواقف مهينة للإسلام منها: مقتل الإمام الحسين، وقعة الحرة، هدم الكعبة

- مقتل الإمام الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «إن جبريل أخبرني أن ابني هذا» ـ أي : ياالحسين ـ «يقتل ، وإنه اشتد غضبُ الله على من يقتله»[1] .
- وقعة الحرة

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق(١٤/ ١٩٣).

مدول الإصلاح الذي خرج من أجله الحسين: هو استقامة أمور المسلمين دون فتنة، والنظر في أمر البيعة التي وضعها أهل العراق في عنقه

• هدم الكعبة

ومجمل القول في مقتل الإمام الحسين ظلماً وبغياً يرجع إلى ما سبق تناوله في السياق نقلاً عن مقولة الإمام الحسين نفسه : إنما خرجت للإصلاح في أمة جدي ، وكان مدلول الإصلاح الذي يقصده هو استقامة أمر المسلمين دون فتنة ، والنظر منه في أمر البيعة التي وضعها أهل العراق في عنقه .. وقد علم أنه مطلوب الدم بعد هذه البيعة ، وأن القوم لن يتركوه سواء خرج أم بقي في الحرم ، فاختار الخروج تجنبيا لإسالة الدم فيه وقال لمن اعترض عليه في الخروج لئن أقتل خارج الحرم بشبر خير لي من أن أقتل فيه .

ولما سأله ابن عباس عن إصراره في الخروج قال سمعت جدي يقول : (إن هذا الحرم يستحل بكبش ـ أي فداء ـ وفي رواية : (برجل فلا أريد أن أكون أنا هو وكان الرجل الذي استحل به الحرم فيما بعد عبد الله بن الزبير ، وفي هذا دلالة قطعية على أن آل البيت يعلمون نصوص فقه التحولات ومجريات مضلات الفتن فيعملون على تفاديها ما استطاعوا .

الخيارات من الإمام الحسين لجيش عبيدالله بن زياد وخروجه بعدد قليل تؤكد الخروج للنظر في الأمر وليس للقتال

ويؤيد هذا الأمر خروجه بنفسه وأهل بيته في عدد لا يتجاوز (٧٣) فرداً ، وهذا العدد المحدود يؤكد الخروج للنظر في الأمر وليس للقتال ، إضافة إلى الخيارات التي وضعها لنفسه أمام جيش عبيد الله بن زياد البالغ أربعة آلاف مقاتل :

الأول: عدوله عن طريق الكوفة إلى الشام وقوله عند لقائه بهم ،

إما أن تدعوني فأنصرف من حيث جئت .

الثاني: وإما تدعوني أذهب إلى يزيد .

الثالث: وإما أن تدعوني فألحق بالثغور .

ولما لم يقبل القوم أحد خياراته ، وأمروه بالاستسلام لم يفعل ذلك ، ونشب القتال مع أن الإمام الحسين لم يبدأ به بل كان مدافعاً عن أهله وأبنائه.[1]

إضافة على ما سبق ذكره من مواقف الإمام الحسين الإصلاحي عزمه على العودة إلى مكة عند بلوغ الخبر إليه بمقتل ابن عمه مسلم بن عقيل وهو في الطريق إلى كربلاء لكن إخوة مسلم بن عقيل - وكانوا في جماعته - قالوا : والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نقتل ، فقال الإمام الحسين : لا خير في الحياة بعدكم)[2] .

وقعة الحرة كانت ثمرة من ثمرات مقتل الإمام الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

أما (وقعة الحرة) فكانت ثمرة من ثمرات (مقتل الإمام الحسين) حيث أهاج الناس مقتل الإمام وخاصة أهل مكة ، وتبنى عبد الله بن الزبير حادثة الاستشهاد وأثار الناس على يزيد وحكمه ، وأقبل الناس على ابن الزبير ليبايعونه ويقولون : (أما وقد هلك الحسين فليس في الناس أحق بالخلافة منك ، وصاروا يبايعونه سراً وبلغ الخبر يزيد فأمر بتضييق الخناق على ابن الزبير ، ولكن اتباع ابن الزبير حاصروا عامل المدينة ومن معه ، فأرسل أولئك إلى يزيد

---

(١) الدولة الأموية د/ يوسف العش صـ (١٦٩/ ١٧٠).

(٢) الطبري (٤/ ٢٩٢).

يستنجدونه فأرسل لهم جيشا بقيادة مسلم بن عقبة والتقى بجملة من بني أمية الخارجين من المدينة مطرودين ، فعمل بنصيحة عبد الملك بن مروان في دخول المدينة من ناحيتها الشرقية في مكان يسمى (الحرة) فلما وصل إليها والتقى بأهل المدينة قاتلوه قتالاً شديدا حتى غلبوا على أمرهم واضطربوا وآل أمرهم إلى الاستسلام وقتل من القريشيين والأنصار ثلاثمائة وستة ، مما جعل (الوقعة) علامة من علامات الساعة الوسطى ، إضافة إلى ما ورد في بعض الروايات من استباحة المدينة ثلاثة أيام ، وفيها يقول ﷺ: «**والذي نفسي بيده ليكونَنَّ بالمدينة ملحمة يقال لها الحالقة ، لا أقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين ، فاخرجوا من المدينة ولو على قدر بريد**»[1] ، وقال : «**هلاك أمتي على يد أغيلمة من قريش**»[2].

سبب هدم الكعبة تحصن ابن الزبير في داخلها يبايعه الناس فيها ولا يخرج منها

وأما (هدم الكعبة) فكان سببه تحصن ابن الزبير في داخلها يبايعه الناس فيها ولا يخرج منها ، ولما حاصره جيش الشام ضربت الكعبة بالمنجنيق فتصدع بعض بنائها واحترقت أستارها ، ولم ينفك الحصار إلا بعد إعلان موت يزيد بالشام عام (٦٤هـ). وكفى بهذه الفتنة من فتنة مضلة .. والعياذ بالله ..

---

(١) تاريخ المدينة لابن شيبة (١/ ٢٨٠).

(٢) وفي البخاري رقم (٣٦٠٥) بلفظ : «هلاك أمتي على يد غلمة من قريش».

الفتنة السياسية التاسعة - صراع الملك

بين ابن الزبير وبني أمية (علامة وسطى)

تؤكد أحاديث فقه التحولات اختلاف ابن الزبير على بني أمية وقتاله معهم بأنها حيصة من حيصات الفتن ، حيث كانت محاولة ابن الزبير لإعادة الخلافة من بني أمية إلى يده بعد مقتل الإمام الحسين سبباً من أسباب اضطراب سلطان الملك العضوض وخاصة في الحجاز والعراق واليمن ، واستطاع ابن الزبير أن يوطد حكمه فيها بعد موت يزيد وذهاب بيعته من رقاب الناس ، فأخذ ابن الزبير بيعته ووسع ملكه وسلطته وإلى جانبه أنصاره من اليمانيين والقيسيين وجملة من أشراف الكوفة والبصرة ومن يتبعهم من الجماعات والقبائل ، ومرت السنوات والبلاد في صراع على الملك بين كل من بني أمية بالشام والمختار الثقفي بالعراق ، وصراع آخر بين الشيعة العرب والسبئية والموالي والخوارج ، حتى تمكن عبد الملك بن مروان من إخضاع العراق والشام وبقي عليه الحجاز حيث ابن الزبير فجهز له جيشاً بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي فحاصر الحجاج ابن الزبير ثم ضرب الكعبة التي كان ابن

الزبير يتحصن فيها ، وخرج ابن الزبير يقاتل الحجاج ومن معه حتى قتل بعد محاصرة دامت ستة أشهر وصلبه الحجاج ليؤول الأمر مرة أخرى إلى حكام بني أمية (حكام الملك العضوض).

وقد صنف بعض المؤرخين مرحلة ابن الزبير بأنها جزء من مرحلة الخلافة الراشدة باعتباره حكماً شعبياً قائماً على الشورى وليس على الوراثة كحكم بني أمية إلا أن مدته لم تطل ولم تستمر بل تلاشت بوفاة ابن الزبير.

قلت والله أعلم : لم أقف في أحاديث فقه التحولات على أحاديث تعدّل مرحلة حكم ابن الزبير بالنصوص النبوية ، اللهم إلا إذا نظرنا إلى عدالة الرجل وأمانته ودعاء أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق له ، وقول ابن عمر في شأنه حين رآه مصلوباً (رحمك الله ، ما علمتك إلا صواماً قواماً ، وصولا للرحم ، أما والله إني لأرجو مع مساوئ ما قد عملت من الذنوب ألا يعذبك الله)[1].

ابن الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من عدول الصحابة ومن العبادلة الذين ولدوا في الإسلام

والأمر الذي نعلمه في دراستنا لفقه التحولات أن ابن الزبير من عدول الصحابة ومن العبادلة الذين ولدوا في الإسلام وحنكه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبرك عليه ودعا له ، وهو من عدول رواة الحديث الصحيح عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وممن تشملهم المعاني الجليلة في آيات القرآن وأحاديث السنة عن الصحابة والآل ، وصالحي المسلمين ، وأن

---

(١) مسند أبي يعلى برقم (١٨) ، وحلية الأولياء (١/ ٣٣٤) ، وشرح البخاري للسفيدي (٢/ ١٧٥) .

علمه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بفقه التحولات وعلامات الفتن منعه عن مبايعة حكام بني أمية ، ولم يأخذ على عنقه لأحد منهم بيعة شأنه شأن الإمام الحسين وعبد الله بن عمر وغيرهم .

وقوع ابن الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في فتنة السياسة اجتهاد اجتهده، شأنه شأن المجتهدين

وأما وقوعه في فتنة السياسة وما ترتب عليها فأمره إلى الله فيما اجتهده شأنه شأن المجتهدين الخروج في وقعة الجمل وفتنة عثمان من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وإن كان الخروج في مرحلة الزبير مختلفا عما قبله .. لوجود نصوص قاطعة تؤكد أنها فتنة[1] .

مرحلة الدولة الأموية وما اقتطعه ابن الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تحت مسمى الخلافة الراشدة جزء من الفتن السياسية

وفي الحديث الشريف إشارة إلى أن هذه المرحلة كلها جزء من الفتن السياسية ، سواء مرحلة الدولة الأموية ، أو ما اقتطعه ابن الزبير منها تحت مسمى الخلافة الراشدة ، بل اعتبرت لدى أهل العلم علامة وسطى من علامات الساعة لما حصل فيها من الفرقة والدماء واستباحة ما حرم الله بين المسلمين ، فعن عمرو بن دينار قال: قال أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (فتنة ابن الزبير حيصة من حيصات الفتن) ، وأبو هريرة لم يدرك عصر ابن الزبير ، ولا إمارته ، ولكنه سمع ذلك من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وعن نافع عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه قال

---

(١) فعن عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال له ابن الزبير حين حوصر إن عندي نجائب قد أعددتها لك ، فهل لك أن تحول إلى مكة ، فيأتيك من أراد أن يأتيك ؟ قال : لا ، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «يلحد بمكة كبش من قريش اسمه عبد الله ، عليه مثل نصف أوزار الناس» . السلسلة الصحيحة للألباني (٥/ ٥٩٥) .

لرجل يسأله عن القتال مع الحجاج أو مع ابن الزبير ، فقال له ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (مع أي الفريقين قاتلتَ فقُتِلتَ ففي لظى)[1] .

السلامة من الفتن أولى من الوقوع مع أحد الطرفين في النار

قال العلماء : وما قال ابن عمر ما قال كراهية لابن الزبير ، وإنما يخاف الفتنة وما يترتب على قتال المسلم للمسلم ، وما ورد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في ذلك ، وفي قول ابن عمر إشارة إلى أن السلامة من الفتن أولى من الوقوع مع أحد الطرفين في النار .

قلت : وهذا هو مبدأ ابن عمر في الفتن كلها ، فهو لم يشترك في فتن المراحل الراشدة حتى فيما جرى بين الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجند الشام والعراق، بل أمسك عن ذلك خوفاً من الوقوع في الفتنة ، وهو نموذج من نماذج السلامة التي اختارها بعض عدول النمط الأوسط في حيصات الفتن.

وقد أشار بعض الباحثين إلى أن ابن الزبير بدأ يدعو لنفسه بعد وفاة يزيد ، وأما قبل ذلك فكان يدعو إلى شورى بين الأمة.. قال الحافظ ابن حجر : (ولم يكن ابن الزبير ادّعى الخلافة حتى مات يزيد في ربيع الأول سنة ٦٤هـ فبايعه الناس بالخلافة بالحجاز)[2] .

(١) الفتن لنعيم بن حماد برقم (٤٢٥) ، والحاكم في المستدرك برقم (٨٤٥٢).
(٢) فقه الفتن (٢٣٩).

المرحلة العمرية الراشدة في عهد بني أمية
(تنفس سياسي شرعي)
(علامة وسطى)

اتفق أهل العلم دون منازع بأن (مرحلة عمر بن عبد العزيز) مندرجة في مسمى الخلافة الراشدة ومنقطعة عن مسمى (الملك العضوض)رغم محدودية زمنها التاريخي ، ويرجع الأمر إلى الحصانة الشرعية التي اكتسبها بالديانة والصلة النسبية ، وبتطبيقه لشرع الله في نفسه وفي حياة الدولة التي يديرها.

تطبيق عمر بن عبدالعزيز لشرع الله في نفسه ودولته جعلت الحاشية والأتباع يستشعرون

وبدأ بادي ذي بدء في اتخاذ مظاهر التقشف والزهد في مأكله وملبسه ، ومركبه ومظهره ، وعمل على إلغاء كافة مظاهر الخلافة المبنية على العرض في الاستقبال والاحتفال والذهاب والإياب ، وصرف الأموال فيما لا طائل تحته ، واستغنى عن الركاب والحجَّاب والحرس ، مما جعل الحاشية والأتباع يستشعرون الاقتداء بفعله والالتزم لأمره.

ومن ثم عاد إلى النظر في أمراء الدولة ، والقائمين على الولاية في

الأمصار فاستبدلهم بأهل العلم والحلم والتقوى المؤتمنين على أموال المسلمين ، وطالب أسرته من بني أمية رد المظالم التي أخذوها من الناس بغير حق في مراحل الحكم السابقة ، وقطع عنهم٠ كل عطاء لا يستحقونه من بيت مال المسلمين ، وسوى بين الناس بالعطاء ، بل وأعاد القادة ورؤوس الأجناد من الثغور البعيدة إلى عواصم الدولة للنظر في شؤونهم ومحاسبتهم ، وإعادة ترتيب الفتوحات وسنة الجهاد في سبيل الله ، وبدأ بالإصلاحات الداخلية في تركيب الدولة من فك الأسرى وإصلاح حال المسجونين ، وأمر بإيقاف السب واللعن فوق منابر الإسلام للإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ومن شايعه ، كما تألف قلوب الخوارج وأسكتهم طيلة عصره فلم يخرجوا عليه وأرسلوا له وفدا فناظرهم وأقنعهم في أكثر النقاط فسلموا له أنه عادل.

عمر بن عبدالعزيز: أعلن أن كل من يدخل الإسلام بإعلانه الشهادتين تسقط عنه الجزية

ونظر في الموالي فعاملهم كما يقتضي الإسلام وحط عنهم الضرائب التي كانوا يدفعونها ، وفتح بابه للمتظلمين وقعد يستمع إلى الناس شكواهم ومظالمهم ، وأصلح شأن جماعات البربر الذين أسلموا في عصر بني أمية وأعاد للنسوة بناتهن الذين استرقوا من قبل ولم يتزوجوا ، وحط بعض الضرائب عن أهل قبرص وأيلة ، ورد مظالم العلويين ، وصرف غلة فدك على النحو الذي كان على عهد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من توزيعها على بني هاشم كما قام بالإصلاحات المالية والإدارية ، وأعلن أن كل من يدخل الإسلام بإعلانه الشهادتين

تسقط عنه الجزية.

وبهذه الأعمال العظيمة ، استقرت في عهده الأمور وتميزت مرحلته بالأمان والاطمئنان ، وهدأت النفوس عن الفتنة السياسية التي كانت تعصف بالأمة ، وتمزق وحدتها واستقرارها.

مرحلة عمر بن عبدالعزيز من العلامات الوسطى

وقد عدَّ العلماء مرحلة عمر بن عبد العزيز من العلامات الوسطى ، وفيها ورد نص أبوي يروى عن نافع قال: قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (يكون رجل من ولدي بوجهه شين يلي ، فيملأها عدلاً ، قال نافع : ولا أحسبنه إلا عمر بن عبد العزيز)[1] .

وعن ضمرة بن شوذب قال: (دخل عمر بن عبد العزيز اصبطلاً لأبيه فشجه فرس لأبيه ، فخرج والدماء تسيل على وجهه ، فقال أبوه : لعلك تكون أشج بني أمية)[2] .

عمر بن عبدالعزيز الخليفة السادس وليس الخامس لأن الخامس الإمام الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

وفي فقه التحولات يعد عمر بن عبد العزيز الخليفة السادس في الخلافة الراشدة وليس الخامس ، لأن خامس الخلفاء هو الإمام الحسن بنص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من قوله: «**الخلافة ثلاثون عاماً**»[3] ، وكان

---

(١) الفتن لنعيم بن حماد (٢٩٠) ، وفي تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٥/ ١٥٥) عن نافع قال بلغنا أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «إن من ولدي رجلاً بوجهه شين يلي فيملأ الأرض عدلاً ، قال نافع من قبله ولا أحسبه إلا عمر بن عبد العزيز.

(٢) الفتن لنعيم بن حماد برقم (٣٣٢).

(٣) مسند أحمد برقم (٢١٩١٩) ، وصحيح ابن حبان برقم (٦٦٥٧) بلفظ: «الخلافة ثلاثون سنة».

آخر الخلفاء هو الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وأما من جاء من بعده ممن تولوا الحكم فإنما حملوا مسمى (الملك العضوض) بالنص أيضاً ، وكفى بهذه الحجة الشرعية للمستبصر دليلاً هادياً حول مسألة العدالة النصية .

الفتن السياسية في المراحل الأخيرة للحكم العضوض في عهد بني أمية

(علامة صغرى)

يظل مسمى (الملك العضوض) علامة مميزة لنظام الحكم الأموي باعتبار فساد القرار السياسي ومخرجاته العليا ، تلك المخرجات التي تقيدت إدانتها بالنص النبوي ذاته ، وتتفاوت مراحل الملك العضوض حسب تفاوت سياسة الحاكم وعلاقته بالرعية وقربه أو بعده من أهداف السياسة العليا ، حيث إن مسمى الإسلام وتطبيق أحكام الشريعة ، وتعليم الأجيال مادة العلم الشرعي قائم على أيدي أهل العلم والمعرفة من كل مذهب وطائفة وجماعة ، إما عن طريق علماء السلطان ، أو علماء الشعوب ، أو علماء الفتن والجماعات المتناحرة ، بل وظلت تنعم كلها بأمور هامة منها:

الأول: وحدة البلاد الإسلامية ووحدة بيضتها رغم ما فيها من صراع واختلاف داخلي

الثاني: القيام بحق الجهاد في سبيل الله مرة بعد أخرى.

الثالث: القيام بحق العلم الشرعي والعلوم الأخرى والانفتاح

على أخذ علوم الحضارة والصناعة والزراعة وفنون البناء واستخراج المعادن وغيرها.

الخلل الناتج عن فساد القرار السياسي يؤدي إلى انتكاسات وانعكاسات في العلاقات

ومع هذه الإيجابيات المشار إليها إجمالاً ، فإن الخلل الناتج عن فساد القرار السياسي (الملك العضوض) يؤدي إلى انتكاسات وانعكاسات في العلاقات والارتباطات والولاءات والانتماءات ، ويؤدي إلى توظيف العلم ومخرجاته إلى المصالح السياسية والاجتماعية ، مما لا يخفى على دارس حالة تلك المراحل وثمراتها بين أمة الإسلام على مدى مراحل (الملك العضوض) في مرحلتيه الأولى والثانية كما سيأتي.

ولم يخرج في هذه الحالة المؤسفة سوى(مرحلة الخليفة السادس) عمر بن عبد العزيز كما أشرنا إليه ، أما بعد وفاته رحمه الله فأمر الملك العضوض قد عاد مرة أخرى ، كما عادت فتن الجماعات والكتل المتربصة بعضها ببعض ، بل قيل : إن يزيد بن عبد الملك الذي تولى الخلافة في سياسته ، فعاد إلى سابق ما كان عليه بنو أمية ، وبنو أمية عادوا إلى طمعهم بالمال والعطاء كما وصفتهم كتب التاريخ.

مرحلة الملك العضوض الأولى هي مرحلة بني أمية والثانية مرحلة بني العباس

وفي عهد هشام بن عبد الملك قتل الإمام زيد بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في محاولته الخروج على الحكم العضوض وصلب وأحرق جسمه ، مما فتح باباً من أبواب الإثارة لدعاة الدولة العباسية وظهورهم بمظهر الأخذين بالثأر لآل البيت حتى اجتاحت هذه الدعوة الثورية الدولة الأموية ، ولم تأت سنة(١٣٢هـ) إلا وقد سقطت دولة بني

أمية سقوطاً نهائياً ، وانتهت بها مرحلة الملك العضوض الأولى لتليها مرحلة الملك العضوض الثانية .

الفتنة السياسية العاشرة

الفتنة السياسية في مرحلة الملك العضوض الثانية

المرحلة العباسية

(علامة وسطى)

وتسمى هذه المرحلة (بالملك العضوض الثانية)، وأصل التسمية مثبت في أحاديث من لا ينطق عن الهوى ﷺ، وضابط ذلك قوله ﷺ: «**إن هذا الأمر بدأ رحمة ونبوة ،ثم يكون رحمة وخلافة ، ثم كائناً عتواً وجبرية ، وفساداً في الأرض يستحلون الحرير والفروج والخمور ويرزقون على ذلك ، وينصرون حتى يلقوا الله عز وجل**»[1].

وأصل الفساد المنصوص عليه ما نص عليه الحديث، وأشرنا إليه في مرحلة الملك العضوض الأولى:

- نظام الحكم الوراثي كما سبق في عصر بني أمية.
- عتوّ وجبرية (أخذ الحقوق بالظلم والقوة).
- فساد في الأمة تغير أصول العلاقات الشرعية بالقبلية

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٣٦٧)، وفي رواية أخرى للطبري برقم (٣٦٨) بلفظ: «**إن فيكم النبوة ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم يكون ملكاً وجبرية**».

والعصبية والشعوبيه .

- استحلال الخمر والحرير والعلاقات الجسدية الحرام .
- محاصرة وأذى وقتل المنافسين لهم من الطالبيين العلويين وملاحقتهم والفتك بهم وبأنصارهم .

فهذه السلبيات هي أصل الفساد في نظام الحكم ، وبفساده يسري الفساد إلى المجتمع والرعية ، ولسنا بصدد وصف حوادث التاريخ ومحاسن الدولة ، فقد كفانا هذه المهمة علماء التاريخ والسيَر والتراجم ، وإنما نحن كما قد سبق ذكره بصدد فقه المتغيرات (أي : تقييم المراحل من نصوص النبوة ذاتها بدءًا بتكوّن الدولة وقيامها ونشأتها على إشاعة الذم وإسالة الدم) ، وهذا مبدأ مخالف للديانة الإسلامية ، وهذه قاعدة يجب أن تقاس عليها نماذج الدول والأنظمة عبر التاريخ ، وخاصة عندما يكون (الذم والدم) من حملة القرار موجهاً إلى آل البيت العدول أو الصحابة الأبرار والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، أو يكونون جزءًا من مشروع الإغفال والإبادة والتنكيل والأذى ، خوفاً من منافستهم ومكانتهم ومقامهم بين الناس.

إشاعة الذم وإسالة الدم مبدأ مخالف للديانة الإسلامية

والمعلوم أن مراحل الملك العضوض كان بعض رؤوسها وحكامها جملة من آل البيت ، وممن يحافظ على الجمعة والجماعات ، ويقوم بحقوق الناس كقضاء الحوائج والصدقات.. إلاّ أن العلة في موقع القرار وليس في الذوات.

العلة في موقع القرار وليس في الذوات

ففي نصوص فقه التحولات ما يعدل بعض الذوات ويشير إلى محاسنهم كقوله ﷺ: «**ليكونن في ولد العباس ملوكٌ يلون أمر أمتي يعز الله بهم الدين**»[1] ، وأخرج أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «**يخرج رجل من أهل بيتي عند انقطاع الزمان وظهور الفتن يقال له السفاح يكون عطاؤه المال حثيا**»[2].

أعاد صلاح الدين الأيوبي العزة الإسلامية بالجهاد في سبيل الله أمام جيوش الغزو الصليبي

وفي هذه المرحلة العباسية برزت جملة من الفتن السياسية المتنوعة ، ومنها ظهور فتنة الاعتزال وما ترتب على هذه الفتنة السياسية في الدين من دماء وعزل وأذى للعلماء والمحدثين وصراع الدولة الفاطمية مع ملوك الدولة العباسية الضعيفة ، وظهور فتنة القرامطة والزنج ،[3] وما تلاها في أخريات المرحلة من الحملة الصليبية وأثرها على العالم العربي والإسلامي ، ولولا ظهور الناصر لدين الله صلاح الدين الأيوبي ومقاومته الباسلة للجيوش الصليبية على

---

(١) رواه الدار قطني (١٨).

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل برقم (٦/ ٥١٤) ،الفتن لابن حماد برقم (١٠٥٦) ، وقد ذكر البرزنجي في الإشاعة جملة من الأحاديث القادحة في مرحلة بني العباس وقال بعد إيرادها فتحمل الأحاديث إن صحت على شرارهم.

(٣) راجع التليد والطارف ص (٢٥٥ - ٢٦٠).فتنة الإعتزال على عهد المأمون بن هارون الرشيد ، وفتنة القرامطة على عهد المعتمد على الله العباسي أحمد المتوكل ، وفتنة الصراع بين العباسيين والفاطميين في أخريات المرحلة العباسية .

مدى أربعة عشر عاماً لكان الأمر قد آل إلى غير ما بلغ إليه ، إذ استطاع صلاح الدين بحكمته وصبره وجلده وطول مراسته من استعادة العزة الإسلامية بالجهاد في سبيل الله أمام جيوش الغزو الصليبي.

فكرة الحروب الصليبية ناتجة عن اهتمام الأوربيين

وسميت تلك الحروب بالحروب الصليبية لأن محاربي الأفرنج كانوا يرسمون الصليب على ثيابهم وأسلحتهم ، كما كانت فكرة الحروب الصليبية ناتجة عن اهتمام الأوربيين بإقصاء الأتراك السلاجقة الممثلين آنذاك لقوة المسلمين أهل السنة ، وكان دعاة الحرب الصليبيين يصورون المسلمين لأبناء أوروبا بأنهم أكلة لحوم البشر وذئاب الإنسانية وأعداء المسيح.

وقد اصطبغت الحركة الصليبية من أول أمرها بصبغة الجشع الاقتصادي والسياسي والرغبة الجامحة في السيطرة ، وجعلوا في إنقاذ بيت المقدس شعاراً مزيفاً وسبباً في تحريك العاطفة الدينية لدى المسيحيين في أوروبا والعالم.

أول حروب عالمية عرفها التاريخ هي الحروب الصليبية

ولهذا فإن الحروب الصليبية كانت أول تجربة للاستعمار الغربي خارج حدود أوروبا لتحقيق مكاسب اقتصادية وسياسية واسعة النطاق ، وهي كما عرف عنها أول حروب عالمية عرفها التاريخ.

وزاد من سوء الحالة آنذاك أن (الدويلات الإسلامية المتنازعة) كالسلاجقة الأتراك في الشام ، والفاطميين في مصر ، والعباسيين في العراق ، كانوا على حالة من الاختلاف والتجزؤ ، بل إنهم كانوا

لا يدركون طبيعة الحركة الصليبية وهدفها ، حتى بلغ بالفاطميين في مصر أن فكروا بالتحالف مع الصليبيين ضد خصومهم من أهل السنة على أن تكون أنطاكيا للصليبيين ويكون بيت المقدس للفاطميين ، ودخل الفاطميون بيت المقدس زمناً قصيراً ثم أعاد الصليبيون ترتيب أنفسهم وجردوا حملتهم على القدس وانتزعوها بعد حصارها في رمضان ٤٦٣هـ ، وأعملوا السيف في أهلها ، وغدت منذ ذلك الحين مملكة لاتينية بالإضافة إلى ما حولها من البلاد ، وعبر أحد الكتاب الغربيين وهو (ريف غروسر) يقول: (وبدلاً من أن يتحد الأمراء المسلمون ضد الصليبية واجهوها فرادى فرادى ، فسحقوا الواحد تلوا الآخر وتغلغلت الصليبية بينهم).[١]

مواجهة الخطر العالمي لا تتم إلا بوحدة الرأي، ووحدة الفكر، والهدف، والقرار، والأرض في كل زمان

وفي هذا الملحظ التاريخي إشارة إلى خطر التفرق ، وأن مواجهة الخطر العالمي لا تتم إلا بوحدة الرأي ووحدة الفكر والهدف . ووحدة القرار والأرض .. في كل زمان .

والعدو التقليدي القديم هو العدو المعاصر ، والهدف السياسي المعاصر هو الهدف السياسي القديم ، ولا اختلاف إلا في الشخوص والوسائل والزمان .. ومعركتنا مع هذا النموذج من الأعداء العالميين تاريخيا معركة سلم وحرب ، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٢١﴾[يوسف:٢١] .

---

(١) صلاح الدين ص(٥٤) للقلعجي راجع التليد والطارف ص(٢٦٢).

الفتنة السياسية الحادية عشر

هجمة التتار وسقوط الخلافة العباسية علامة وسطى من علامات الساعة

تحدد في فقه التحولات بالاستقراء والمقارنة ، أن عام ٦٥٦هـ ـ وهو العام الذي سقطت فيه بغداد على يد جحافل المغول (التتار) ـ هو آخر المراحل السياسية للدولة العباسية ونهاية مرحلة الملك العضوض الثانية ذات القرار السياسي الموحد ...

وفي تقرير هذه النكبة السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي حلت بالأمة يشير الحديث الشريف إلى ذلك بقوله ﷺ في أحاديث الفتن : «إن بني قنطورا أول من سلب أمتي ملكهم» . أخرجه الطبراني من حديث معاوية ، قال ابن حجر في الفتح (٦/ ٦٦٩) وكأنه يريد بقوله : «أمتي» أمة النسب لا أمة الدعوة ، يعني العرب .

استمر المسلمون بلا خليفة ثلاث سنوات ونصف بعد قتل الخليفة العباسي على يد التتار

وكان أول خروجهم سنة ست وستمئة من بلادهم إلى نواحي الترك وفرغانة ، ومن ثم امتد غزوهم لما وراء النهر سنة (٦١٥هـ) فأخذوا بخارى وسمرقند ، وعبروا النهر إلى بلاد خراسان ومنها إلى الري وهمدان حتى بلغوا إلى أذربيجان وسجستان وكرمان ، ثم إلى ما حولها من البلاد ، وفي عام (٦٥٦هـ) وصلوا إلى بغداد يتقدمهم

هولاكو ، ودخلوا بغداد يوم عاشورا واستمر القتال أربعين يوماً ، وقتل الخليفة وجملة من أتباعه وأهله ، وجاءت سنة (٦٥٧هـ) وبلاد المسلمين بلا خليفة ، وظل انقطاع الخلافة ثلاث سنوات ونصف.[١]

واجه الملك المظفر التتار وألحق بهم الهزيمة الساحقة وواصل الظاهر قتاله ضدهم حتى عاد منتصرا

وكان المماليك على أعمال مصر وكان الوالي عليها المنصور علي بن المعز وإلى جانبه سيف الدين قطز ، وهو الذي جمع العلماء والأعيان وفيهم العز بن عبد السلام ، وهيأ البلاد لمقاومة التتار ، وأزاح الوالي وقبض على حكم مصر وسمى نفسه بالملك المظفر ، وواجه المظفر التتار في نواحي الشام ، وفي معركة عين جالوت ألحق المظفر وجيشه الهزيمة الساحقة بالتتار ، وقتل منهم مقتلة عظيمة وولوا الأدبار ، وأثناء العودة إلى مصر اختلف الظاهر بيبرس مع المظفر حول بعض أمور الحكم والسلطان فقتله الظاهر بيبرس ووضع نفسه مكانه باسم الملك الظاهر وواصل فتوحاته ضد التتار وأحيا الخلافة العباسية حتى توفي في محرم (٦٧٦هـ) وهو عائد من حلب إلى دمشق متوجاً بالانتصارات.

هجمة التتار ظل فيها العالم العربي والإسلامي ممزقاً إلى دويلات ونواحي متفرقة نتيجة الحروب والغزوات الهاتكة

وتكاد هذه المرحلة كلها تعاني من (الفتن السياسية الداخلية) ، إضافة إلى ما تعانيه من حروب المغول الذين ضعفت أخيراً شوكتهم بانتصارات الملك الظاهر ، ومات طاغيتهم هولاكو سنة(٦٦٣هـ) وأسلم بعضهم عام (٦٦١هـ) ، كما دخل الإسلام قمازان بن

---

(١) تاريخ الخلفاء ص (٤٠٨).

أرغون بن أبغا بن هولاكو سنة (٦٩٤هـ) ففرح الناس بإسلامه وفشا الإسلام في جيشه ولم تقم للتتار بعد (٧٣٦هـ) قائمة ، إلا أن العالم العربي والإسلامي ظل ممزقاً إلى دويلات ونواحي متفرقة نتيجة هذه الحروب والغزوات الهاتكة .

الفتنة السياسية الثانية عشرة

مرحلة التمزق والدويلات

(علامة وسطى)

ومن حيصات الفتن المضلة التي أشار إليها ﷺ في مجمل أحاديث التحولات وعلامات الساعة مرحلة ما بعد سقوط الخلافة العباسيين ، وتسمى تاريخيا بمرحلة التمزق والدويلات .. وقد أفاض المؤرخون في تناولها وأشرنا إليها في كتابنا «التليد والطارف» و«الأسس والمنطلقات» وخلاصة القول فيها : إنها نموذج من الفتن التي عناها رسول الله ﷺ بقوله : «أناخ بكم الشرف الجون» قالوا : وما الشرف الجون يا رسول الله قال : «فتن كقطع الليل المظلم» رواه ابن حبان ، والشرف بضم الشين وسكون الراء وبالفاء جمع شارف وهي الناقة المسنة ، والجون السود . قال ابن الأثير : (شبه الفتن في اتصالها وامتداد أوقاتها بالنوق المسنة السود اهـ .. ويروى هذا اللفظ (الشرق) بالقاف ـ يعني الفتن التي تجيء من جهة المشرق اهـ . النهاية لابن الأثير (٢/ ٤٣٦) ، وقد امتدت هذه المرحلة من سقوط الخلافة العباسية عام ٦٥٦هـ حتى عام ٨٧٤هـ مع ظهور الدولة العثمانية ومبتدأ عودة القرار الإسلامي الواحد على يد

الأتراك العثمانيين .

صراع الدويلات المجزأة، وشمول الضعف والوهن، وظهور التي الفتن وجدت لها مرتعاً خصباً في ظل انعدام القرار الإسلامي الواحد

وكان من مظاهر هذه المرحلة السياسية صراع الدويلات المجزأة وشمول الضعف والوهن وظهور الفتن الفكرية قديمة وجديدة وتأثيرها على الأمة في حياتها الدينية والدنيوية كفتنة القرامطة والمعتزلة والباطنية والزرادشتية والموركية والمانوية والرافضة والنواصب والسبئية والهندوسية والقاديانية والبهائية وغيرها ، وقد وجدت لها مرتعا خصبا في ظل انعدام القرار الإسلامي الواحد .

توحد قرار الأمة بعد فرقتها على أيدي الحكام العثمانين

واستشرى خطرها في توسيع رقعة الصراع الطائفي وانتقاله من منسوبي العلم والمعرفة إلى الواقع الاجتماعي والشعبي العام ، مما ألهب أوار الفتنة بين المصلين ، ودفع بكل فريق إلى الإفراط في الأحكام والتفريط في مدلول الالتزام ، وكيد الفقهاء لبعضهم البعض والتزلف إلى الحكام في سبيل الأخذ على يد المخالف والمعارض في المذهب والفكرة والانتماء .. وطال خراج هذه الفتنة وامتداد أثرها جيلاً بعد جيل حتى قضى الله بتوحيد قرار الأمة بعد فرقتها على أيدي الحكام العثمانيين كما سيأتي بيانه وتوضيحه .

التنفس السياسي في مرحلة الدولة العثمانية وعودة الخلافة

(علامة وسطى)

ظهر العثمانيون منذ القرن الثامن الهجري على مسرح الحياة السياسية على صفة مجموعات غازية ضد قبائل آسيا الصغرى بقيادة مؤسس الدولة عثمان ارطغول التركماني ، وانتصر هو ومن جاء من بعده على فلول التتار وجيوش الروم ، وواجه آل عثمان جيوش تيمور لنك ، وجيرانهم من المجر والعرب وغيرهم حتى انتصروا عليهم في حروب طويلة وطاحنة ، وافتتح العثمانيون (القسطنطينية) (٨٧٤هـ - ١٤٥٣م) على يد محمد الفاتح الذي بشر النبي ﷺ به وبجيشه بقوله : «**لتفتحن القسطنطينية ، فلنعم الأمير أميرها ، ولنعم الجيش ذلك الجيش**»[١] وجعلها العثمانيون عاصمة لهم على مدى تاريخ الدولة العلية ، ووحدوا بعد ذلك قرار العالم العربي والإسلامي بإعلان الخلافة العثمانية بعد إذن رسمي من آخر خلفاء بني العباس وهو الخليفة المتوكل الذي تنازل للسلطان سليم

(١) مسند أحمد برقم (١٨٩٥٧)

الأول في جامع أبي أيوب الأنصاري بالعاصمة اسطنبول في حفل مهيب وكبير .

دخلت البلاد تحت طاعة الدولة العثمانية بعد سقوط دولة المماليك

وتواتر سلاطين آل عثمان على سدة الحكم حتى عهد السلطان بايزيد ثم ولده سليم الأول الذي حارب الدولة الصفوية بإيران ثم تحول إلى فتح الشام ومصر وأكرم علماءها وأعاد إعمارها ، ودخلت البلاد تحت طاعة الدولة العثمانية ، بعد سقوط دولة المماليك ، وكان آخرهم السلطان طومان.

وأرسل العثمانيون إلى شريف مكة للدخول في طاعة الدولة العثمانية فقبل الشريف وأخذت البيعة في الحرمين الشريفين للسلطان وهو بمصر، وعاد السلطان من مصر إلى تركيا وتوفي بها (٩٢٦هـ) .

وتولى بعده سليمان القانوني ، وسمي كذلك لأنه سن العديد من القوانين المدنية الموافقة للشريعة الإسلامية ، كما حارب البرتغاليين في المحيط الهندي ومصر وعزز قوته في اليمن واستولى على عدن . وكان فيها الدولة الطاهرية فأخرجهم منها ، وبقي جزء من أعالي أرض اليمن تحت حكم الدولة الزيدية ، ودارت بين الدولة الإمامية الزيدية والعثمانية معارك عديدة لم يتغلب فيها أحد منهم على الآخر .

بدأت المرحلة الغثائية بتنازل السلطان عبدالحميد الثاني وبإعلان الدولة العلمانية

وعندما تولى السلطان سليم الأول مقاليد الحكم سنة (٩٣٣هـ – ١٥١٢م) مد نفوذ الدولة العثمانية إلى كثير من البلاد الأوروبية ،

كما سبق ذكره ، وقامت الدولة العثمانية منذ عهد سليم الأول حتى عهد عبد الحميد الثاني بأمر البلاد العربية والإسلامية تحت مسمى الخلافة ما بين قوة وضعف ، حتى تكالبت القوى الاستعمارية على (دولة الخلافة) وبدأ الضعف يسري إلى بنيان الدولة ، فكان آخرها تنازل السلطان عبد الحميد الثاني عن سدة الحكم بضغط من حزب الاتحاد والترقي الحزب الذي كان في أعضائه عدد من يهود الدونمة الذين ساهموا في حبك المؤامرة مع الدول الأوروبية ، وعينوا ثلاثة من سلاطين آل عثمان فيما بعد السلطان عبد الحميد الثاني كانوا تحت إمرة الاتحاديين وهيمنة السفارات الأوروبية ، حتى إعلان مصطفى أتاتورك الدولة العلمانية في تركيا وبدء المرحلة الغثائية مرحلة الوهن والتداعي ، راجع «الأسس والمنطلقات» وهي المرحلة التي طال خراجها وفسادها إلى تاريخنا المعاصر .

الفتنة الثالثة عشر

(الرداح المطبقة) الفتنة السياسية في آخر المرحلة العثمانية

(علامة وسطى)

وتمتد هذه المرحلة رسمياً من سقوط الخلافة العثمانية بتنازل السلطان عبد الحميد الثاني لأن ما بعد هذه المرحلة يعد باكورة العمل السياسي الغثائي وممهداً لمرحلة الاستعمار الأوروبي.

وتمتاز هذه المرحلة بورود أحاديث نبوية تفصل سير المؤامرة العالمية خطوة بعد أخرى ، مما يفيد أنها مرحلة ينتزع فيها قرار الحكم وقرار العلم عن المسلمين إلى أعدائهم ، ومنها حديث : «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها**» ، **قالوا : أمن قلة نحن يا رسول الله؟ قال** : «**لا ، أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، يلقى عليكم الوَهَن**» ، **قالوا : وما الوَهَن يا رسول الله؟ قال** : «**حب الدنيا وكراهية الموت**»

وفي رواية : «**وتنزع المهابة من صدور عدوكم**»[1] .

وقد أفضنا التناول عن هذه المراحل في كتابنا الأسس والمنطلقات فليراجع ص (١٩٢) ، ونكتفي هنا بالإشارة إلى تقسيمات المراحل :

مرحلة الاستكبار والاستظهار

١- مرحلة الأحلاس (الاستكبار) ، وهي مرحلة الثورة الصناعية وآثارها الاستكبارية ، وتتداخل معها مرحلة (الاستظهار) ، وهي مرحلة الاختراق والمناوشة ، وتشملُ المرحلة المدونمة، فمرحلة التداعي والمؤامرة على تركة الرجل المريض، حتى سقوط قرار الخلافة العثمانية.

---

(١) سبق تخريجه ،

وقد اخترنا لهذه الفتنة السياسية مسمى (الرداح المطبقة) كما سماها رسول الله ﷺ لأنها تتميز عن الفتن السابقة بأمور :

١- أنها فتنة نقضت عرى الحكم والعلم من أمة القرآن والسنة بالكلية إلى العدو الكافر

٢- أنها جزأت الأرض الواحدة قرار واستقرار وإعادة الشعوب إلى السياسة الجاهلية على مدى زمانها المتحولة منذ الاستعمار إلى نهاية مرحلة الاستثمار وما تلاها .

٣- أنها مكنت عدو الأمة (اليهود) من احتلال فلسطين ودعم وجود هذا الكيان عالميا تحت سقف الشرعية الدولية كما تسمى .

٤- أنها استخدمت لغة الاستشراق لسياسة الاختراق وتقنين مبدأي المنافسة والتحريش ليصبح منهجا تعليميا تربويا في بلاد المسلمين ذاتها ، ودعمت برنامج التحريش والمنافسة في كافة أطر الحياة الاقتصادية والاعتقادية والتربوية والتعليمية والثقافية والإعلامية وغيرها .

٥- أنها دعمت لغتي الصراع الإعتقادي ، والصراع الطبقي والصراع ال...

٢- فتنة السراء ، اشتراك بعض أمراء المسلمين مع الدول الأوروبية في نزع قرار الخلافة ، وامتداد الدول الاستعمارية في البلاد العربية بالمعاهدات ، كمعاهدات الرقيق ، ومعاهدات الحماية ، ومعاهدات الدفاع المشترك ، وتسمى مرحلة الاستعمار .

مرحلة الاستعمار

٣- فتنة الدهيماء مراحل الانقلابات والثورات ، والمؤامرات الداخلية الموجهة ، وتسمى في الاصطلاح بمرحلة الاستهتار.

مرحلة الاستهتار

٤- الفتنة الرابعة التي يؤول أمر الأمة فيها إلى الكفر (الارتباط الكلي بالقوى العالمية) سياسياً واقتصاداً وتربية وتعليماً وإعلاماً وثقافة ، وتسمى في الاصطلاح مرحلة الاستثمار .

مرحلة الاستثمار

٥- فتنة الصيلم (الصيلمة) الربيع العربي (الفوضى الخلاقة) ، وتسمى في الاصطلاح مرحلة الاستنفار ، ولها مظاهر وظواهر عديدة تبدو جلية في سير الأحداث الجارية في الوطن العربي والإسلامي ويكاد أن يكون من أخطرها وأشدها بلاء ما سماه رسول الله ﷺ بفتنة الشام ونص الحديث : «يكون في الأمة خمس ـ أي من الفتن وذكر الأربع ـ ثم قال : وبقيت واحدة وهي الصيلم، ثم قال الراوي : وهي فيكم يا أهل الشام ، فإن أدركتها فإن استطعت أن تكون حجرا فكنه ، ولا تكن مع واحد من الفريقين وإلا فاتخذ نفقا في الأرض» اهـ مسند أحمد (٢٠٦٩٦) ، وفي رواية : فقلنا أنت سمعت هذا من النبي ﷺ قال: نعم ، والمقصود بقوله : (وهي فيكم يا أهل الشام) ، أنها فتنة تبدأ في موقع آخر ثم تتسع

مرحلة الاستنفار

حتى تبلغ الشام فعندها تسمى الصيلم ، ويؤيد ذلك ما أثر عن ابن مسعود : (كل فتنة شوى) أي طرف حتى تكون بالشام فإذا كانت بالشام فهي الصيلم وهي الظلمة) الفتن لنعيم بن حماد .

ومعنى الصيلم الداهية أو الكارثة التي تستأصل كل شيء .

السفيانية الأولى

٦- السفيانية الأولى حرب المياه والذهب ، وإليها يشير حديث أبو هريرة : «**يحسر الفرات عن الجبل من ذهب يقتتل عليه من كل مئة تسعة وتسعون ، فإن استطعت يا أبا هر أن لا تكون منهم فافعل**» ، ومن مظاهر المرحلة السفيانية الأولى ظهور السفياني في الشام في قرية تسمى(أندرا) وإسناد الحديث ضعيف وفي رواية مخرجه من (المندرون) شرقي بيسان ، وفي رواية : (وخروجه بعد تسع وثلاثين) . الفتن رقم (٧٩٥) (ضعيف) .

ومن أهم مظاهر ظهوره مقاتلته لأصحاب الرايات السوداء والرايات الصفراء بسرة الشام يهزم الجماعة مرتين ثم يهلك .

ومن مظاهر مرحلته أيضاً دخول مصر لحرب أصحاب الرايات السود والرايات الصفر ، فعن الزهري قال : (يلتقي أصحاب الرايات السود وأصحاب الرايات الصفر عند القنطرة فيقتتلون حتى يأتوا فلسطين فيخرج على أهل المشرق - أي العراق - السفياني فإذا نزل أهل المغرب الأردن مات صاحبهم فيفترقون ثلاث فرق ، فرقة ترجع من حيث جاءت ، وفرقة تحج ، وفرقة تثبت فيقاتلهم السفياني فيهزمهم فيدخلون في طاعته) الفتن / الرابع ص١٨٠ رقم

(٧٣٦) وفي هذا الباب أحاديث كثيرة ومثيرة ... والله أعلم وأحكم.

السفيانية الثانية

٧- السفيانية الثانية ، انقطاع السبل ، وكثرة الحروب ، وتعطيل الآلة في كثير من بلاد العرب والمسلمين نتيجة الدمار والحرب ، وهيمنة البداوة والغوغائية وانقطاع تنمية الصناعة ووسائلها.

والفتن السياسة هي الفتن المرتبطة بفتنة المسيخ الدجال ، وعبر عنها النبي ﷺ بحيصات الفتن ، وهي منبع الانحدارات في شؤون الحكم وشؤون العلم ، وما تفرع عنها ، وبها يتهيأ الانحراف الفكري والعقدي وتنشأ من خلالها أجيال الوهن والتداعي وجحافل التحريش والمنافسة ذات العلاقة بالسلطان والجاه والمنازعة حوله ، وبالولاءات الحزبية والتيارية دينية ودنيوية ، وبالاقتصاد والتجارة الربوية وحركة المال والأعمال ، وفساد علاقة الرجل بالمرأة على الوجه الشرعي ، وإسقاط مسائل الحريات والقيم والأخلاق ، وهذه بمجموعها تؤدي عند الانحرافات إلى خدمة المسيخ الدجال ، وعلامته تقارب الرؤى الفكرية اقتصادا وتربية وتعليماً وثقافة وإعلاماً وسلوكاً وضوابط وعادات وتقاليد بحياة الكفار وعاداتهم وتقاليدهم ، سواء عن طريق الإعجاب والتقليد أو عن طريق الاقتناع والدراسة المؤدية إلى الاستحسانات والاستتباع في الملبس والمطعم ، والعواطف والهويات والسياسات ، والبرامج الثقافية والرياضية والتجارية ، وخاصة تلك البرامج التي أفقدت المسلمين أدب الشريعة وجعلتهم يعظمون ما لا يستحق التعظيم في

الألاعيب والمناسبات الوضعية.

والمتأمل اليوم في حياة الأمة الإسلامية يرى حقائق الاستتباع والاستحسان في كافة شؤون الحكم، وشؤون الدراسة والعلم وما بعد ذلك، ولكنها كما أخبر النبي ﷺ جاءت إلى الأمة عن طريق التراكمات المرحلية في شؤون (السياسة)، وما قام به (نشطاء السياسة الدجالية) على مدى التاريخ المتتابع من ضغوطات واحتيالات وتحريفات أبلغت الشعوب إلى ما بلغت إليه، وقد حصل مثل هذا في الأمم السالفة، وكفى بقراءتنا لكتاب الله خير دليل وشاهد على الأمم المنحرفة ذات العلاقة بفتن السياسة حكماً وعلماً، وما تبلغ إليه في آخر المطاف من العذاب والنكال في الدنيا والأخرة.

وما بعث الله نبينا محمداً ﷺ وجعله خاتم الأنبياء وأمته خير الأمم إلا لتؤدي دور الشهادة على أمرين:

الأمر الأول: صحة الرسالات السابقة بتنفيذ أمور الرسالة المحمدية باعتبارها الدعوة الشرعية الخاتمة.

الأمر الثاني: إدانة التحريف والإفك الذي قام به (السياسيون حكماً وعلماً) من التحريف والدجل، وكلا الشرطين يلزم أهل الكتاب من اليهود والنصارى بالخصوص لأنهم معنيون شرعياً قبلنا بالرسالات السماوية، وكذلك غيرهم من الأمم أن يقبلوا حكم الرسالة الخاتمة في تصحيح انحرافاتهم العقدية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإعلامية الخ، وفي هذا يقول

تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ ﴾ [آل عمران:١١٠]

ولكن حقيقة الأمر أن أهل الكتاب لم يدركوا هذا النداء ، وساعدهم دجاجلة السياسة وعملاؤها على اجتذاب الأجيال من النساء والرجال نحو برامج المسيخ الدجال ، ووظفت من أجل ذلك وسائل المال والأعمال ، والإعلام والثقافة ، والاقتصاد والرياضة والأسواق والأبواق ، ولم يسلم من هذه الفتنة وآثارها إلا الذين وصفهم الله في كتابه: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [الحِجر:٤٢] وهم قليل من قليل..

ونسأل الله أن يجعلنا من عباده الذين ليس للشيطان عليهم سلطان آمين اللهم آمين.

رسالة تحذيرية لأهل العصر الأخير

إننا لا نرغب في مجرد الكتابة وصَفَّ الحروف في سطور المؤلفات، لأن هذا ليس هدفنا ولا غايتنا، وإنما هدفنا إن شاء الله، وصول المعاني والأطروحات إلى الجميع لأمرين:

الأول: إسقاط واجب الإبلاغ بما عَلِمْنا من أمر هذا الدين بأركانه الأربعة طلب للثواب وخوفاً من العقاب.

الثاني: إنقاذ ما يمكن إنقاذه في طوفان التحولات.

وإذا كان العديد من القراء ينزعجون لما نضعه من غريب الفهم عليهم، وضعيف النقل في الاستدلال، على ما حل فينا وفيهم، فإني متفائل جداً في جيل يدرك فحوى ما نكتب، ويفقه ما يقال، وإليهم خاصة أوجه رسالتي من باب نقل الأمانة وأدائها إلى أهلها كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء:٥٨]، وذكرهم جميعاً بقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩﴾ [الأنعام:٨٩]. و بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾ [المائدة:٥٤].

اللهم اجعلنا ومن أدرك الأمانة المشار إليها من عندك منهم وفيهم يا أرحم الراحمين ، اللهم لا بلاغ إلا بك ، ولا هداية إلا منك ، ولا اتكال إلا عليك ، سألتك اللهم الرضا في الدنيا والآخرة ، والرحمة والمغفرة والرضوان في الدنيا والآخرة ، والتوفيق لنا في بقية العمر بما يرضيك ، فقد كاد العمر أن يبلغ أجله وأنت الحليم العليم الرحيم الكريم ، أحسن خاتمتنا ، وثبت ألسنتنا ساعة الوفاة بكلمة التوحيد ، واكتبنا في ديوان خيار العبيد.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

كتبه الفقير إلى عفو مولاه
أبو بكر بن علي المشهور
يوم الأربعاء ٢٣ربيع الأول
١٤٣٣هـ

الفهرس